

الاتجاه الإسلامي في الثورة المصرية ١٩١٩م

الدكتور زكريا سليمان بيومي

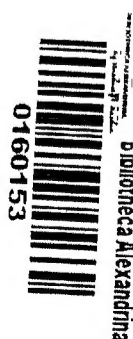
كلية التربية — جامعة المنصورة

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

الناسخ
دار الكتب والبحر

٨ شارع سليمان الحكابي بالقاهرة



909

492

١

الاتجاه الإسلامي في الثورة المصرية ١٩١٩م

الدكتور زكريا سليمان بيومي

كلية التربية — جامعة المنصورة

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

الناشر
دار الكتب الجامعية

٨ شارع سليمان الحكيم بالقاهرة

المحتويات

مقدمة	٥
أثر التسامح الاسلامى فى دور الأقليات فى ثورة سنة ١٩١٩	١٣
الاتجاه الاسلامى وأثره فى قيام الثورة	٢٣
مدى تعبير قادة الوفد الذين حاولوا صبغ الثورة بالصبغة العلمانية عن المصريين	٣٩
دور الأقباط فى الثورة ، حجمه وطبيعته	٥٣
المراجع	٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حضيت ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ باهتمام العديد من الباحثين وفي جوانب شتى ومن منظورات مختلفة من فروع الدراسات الانسانية • ويكاد يجمع أغلب هؤلاء الباحثين على أن هذه الثورة — وكما جاء فى قول الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الذى يحتل مكان الريادة بين المؤرخين المعاصرين — « حدث قومى ضخم » ، و « أضخم عامل فعال فى بناء القومية المصرية »^(١) • أو بمعنى آخر أن هذه الثورة — فى رأى أغلب الباحثين — تعتبر انتصارا للتيار القومى على التيار الذى ظل سائدا ولفترة طويلة وهو التيار الاسلامى •

ومن جهة أخرى فقد صدرت — وفى الفترة الأخيرة بالذات — عدة مؤلفات فى تاريخ مصر عامة ، وعن ثورة سنة ١٩١٩ بصفة خاصة تحاول أن تؤكد معنى « الوحدة الوطنية » بين الأغلبية

(١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : مقدمة بقلم أ . د . أحمد

عزت عبد الكريم ص ٥ .

المسلمة وبقية الأقليات وفي مقدمتها الأقباط • ويبدو أن هذا الاتجاه يهدف الى أمرين الأول اعلاء القومية المصرية على الاسلامية أو حتى العربية وهو اتجاه حظى من قبل بتأييد الاحتلال والأقليات الطائفية دون مراعاة لتوافق أو تنافر ذلك مع المصلحة الوطنية ، فضلا عن أنه ينافي الواقع المصرى ، والأمر الثانى يبدو من خلال محاولات لصق تهمة التعصب الدينى — التى بدت للأسباب مفتعلة ولفترة محدودة — وكذا التخلف بالاسلام والمسلمين خلال الفترات السايقة لثورة سنة ١٩١٩ ليشمل العصر العثمانى وربما العصر الاسلامى بأكمله •

وبصفة عامة فقد استقر فى أذهان العلمانيين الذين تلقوا تعليمهم فى أوربا أن كل اقتراح لتنظيم الشؤون السياسية وتخطيط المناهج الاقتصادية والاجتماعية على أساس الدين حركة رجعية على اعتبار أنهم ينظرون بعين العقل والمصلحة التى ارتقت بمقتضاها الحضارة الأوروبية^(٢) • وبعض النظر عن صحة هذا الاتجاه ومدى ملاءمته للواقع المصرى فإنه قد اصطدم بجماهير ورثت ايمانا له جذور عميقة يؤكد أن مصلحتها تكمن فى القيم الأخلاقية المستمدة من الشرائع السماوية ، كما أن هذه الجماهير

(٢) محمد أسد : منهاج الحكم فى الاسلام . — . منصور

محمد ماضى ص ٢١ •

قد استقطب ولاءها واحترامها ذلك النظام السياسى الذى وضعه الاسلام^(٣) ، بما فيها الأقليات غير الاسلامية التى انصهرت فى الكل الاسلامى لما نعمت به من نصيب فى هذا النظام ، وهو أمر لا يحجبه أو يقلل منه هزيمة دولة الخلافة أو انحسار أيديولوجية الجامعة الاسلامية أو ضعف المؤسسات الاسلامية التقليدية^(٤) .

ولم يراع الليبراليون حقيقة التقاء النظام الديمقراطى والنظام الاسلامى فى شكل نظام الحكم فى الغالب ، وهو أمر ركز عليه كثير من المصلحين من خلال ابرازهم لدى انسجام الحركة الدستورية والنظام النيابى مع المبادئ الاسلامية الأمر الذى أدى الى أن يحظى هذا النظام بموافقة الجماهير المتدينة^(٥) . لكن تجاهل الليبراليين للفئات المتدينة عندما نجحوا فى إقامة مؤسساتهم العصرية ، بل وتشجيع الهجوم عليها ، قد

(٣) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ص ٥٦ .

(٤) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ — ١٩٣٦ ص ٢٣٢ حيث نعارض رأيه فى هذا الجانب .

(٥) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٥٥ . د. نازك سابيارد : الرحالون العرب وحضارة الغرب ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ .

أثار عليهم هذه الفئات فأهاجت بدورها الجماهير من خلال التجربة الترككية التى أزاح فيها التشريع العلمانى (الذى لم يعرهم اهتمامه) التشريع الاسلامى (الذى حظى بولائهم واحترامهم) ، وحملهم الليبراليون — مع ذلك — تبعة العمل على اعاقبة التجربة الديمقراطية^(٦) .

وحتى القلة المثقفة من أصحاب العلوم الدينية الذين تأثروا — باسم المصالحة — بالليبراليين ، أو بالاتجاه العلمانى والقومى ، عادت لتدرك من خلال ماتخلل دستور سنة ١٩٢٣ من ثغرات فى الصياغة — ثوبا فضفاضا — وانتهاكات فى التطبيق والمنافسة الشديدة فى السعى للسلطة والتى فرقّت بين هذه الفئات الليبرالية ، صحة الايمان الموروث ، والتف أغلبهم حول فكرة العودة اليه ، وهو أمر يوضحه اشتداد عود الاتجاه السياسى الاسلامى الذى حاول ابراز استيعابه لزايا الاتجاهات الأخرى ، والمثل فى الجماعات الاسلامية جماهيريا على كافة الاتجاهات السياسية والتى انتهجت منها السبيل الليبرالى بصفة خاصة على الرغم من خلو منهاج هذه الجماعات فى أغلبها من برامج اصلاحية عصرية بناءة .

(٦) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٥٦ .

كما أن الفئة القليلة من المثقفين العلمانيين والذين أسهمت الظروف في وجودهم على سطح الأحداث السياسية بعد الحرب العالمية الأولى والذين كانوا ينتمون في أغلبهم للبورجوازية المصرية قد أيدوا الاتجاه القومي بل وروجوا له ، لكنهم سواء في هذا أم في انتمائاتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية لم يكونوا يمثلون غالبية الشعب المصرى ، ولم يستمر توافق تمثيلهم له — نتيجة لذلك — في المطالب الوطنية •

ومن هنا فان أغلب هذه الدراسات تلتقى عند هدف اخفاء أو تجاهل دور الدين عامة والوجه الاسلامى لثورة سنة ١٩١٩ بصفة خاصة بدعوى أن الاتجاه الاسلامى لو كان سائدا لما أفسح المجال لاسهام الأقليات وفي مقدمتها الأقباط بأى دور فى هذه الثورة • كما أنها — أى هذه الدراسات — قد غفلت ، أو أغفلت حقيقة أن انحسار المد الاسلامى وبروز التيار الوطنى على حسابه كان أمرا خارجا على ارادة جماهير المصريين ولم يكن تعبيرا عن المقارنة بين التيارين ، بل ان النضوج النسبى الذى حققه التيار الوطنى لانحسار المد الاسلامى يؤكد حقيقة الاندماج الكامل بين الفكرة الاسلامية والفكرة الوطنية (لا القومية التعصبية) ، أو تلاقى الانتماء الوطنى والانتماء العقائدى (الاسلامى) فى هذه الثورة ، وهو اتجاه بدأ فى القرن التاسع

عشر وتبلور في دعوة الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل^(٧) .

على أن محاولة اظهار الوجه الاسلامى لهذه الثورة — وهو الوجه الحقيقى فى رأينا — لايعنى ، كما قد يتبادر الى ذهن الأغلبية ، اخفاء دور الأتباط فيها أو حتى التقليل منه ، ذلك لأن ابراز هذا الدور ووضعها فى اطاره الموضوعى الصحيح يعد فى حقيقته تجسيذا للوجه الاسلامى لهذه الثورة حيث أن السماح فى معاملة الأقليات غير الاسلامية التى نصت عليها الشريعة الاسلامية وطبقت فى أغلب فترات التاريخ الاسلامى وجعلتهم يتساوون مع المسلمين ، كان من الطبيعى أن ينتج عنها اسهام هذه الأقليات فى الدفاع عن وضعهم بصفة خاصة ودفاعهم — كجزء من كل — عن الكل الاسلامى ، وهو أمر برز فى عديد من أحداث التاريخ ومن بينها ثورة سنة ١٩١٩ .

ومن هنا رأينا اعداد هذا البحث فى محاولة موضوعية لتوضيح الحقيقة التى غفلها أو أخفاها كثير من الكتاب والمؤرخين.

(7) Tignor, R.L. : Modernization and British Colonial Rule in Egypt 1882 - 1914 Princeton newjersey Princeton university press 1966. p 249.

، د. زكريا سليمان بيومى : مصر الحديثة بين الانتماء العفائدى والقومى ص ١٧ .

، مجيد خدرى : الاتجاهات السياسية ص ٢٤ .

— ١١ —

على اختلاف مذاهبهم ، حيث ينبغي أن يكون المشتغل بالتاريخ تطبيقيا وأن يرصد بدقة اتجاه الأغلبية دون أن يحصر جهوده في التركيز على فكر الأقلية مهما كان بريقه أو تأثيره وهو أمر لا يقلل من هذا الفكر أو ذاك .

وسنركز في هذا البحث على الجوانب الآتية : —

١ — أثر التسامح الاسلامي في دور الأقليات وبخاصة في ثورة سنة ١٩١٩م .

٢ — الاتجاه الاسلامي وأثره في قيام الثورة .

٣ — مدى تعبیر قادة الوفد الذين حاولوا صبغ الثورة بالصبغة العلمانية عن المصريين .

٤ — دور الأقباط في الثورة ، حجمه ، وطبيعته .
والله ولي التوفيق

د. زكريا سليمان ييومي

أثر التسامح الاسلامى فى دور الأقليات فى ثورة سنة ١٩١٩ :

السماحة شعور مكتسب وليست شعورا غريزيا ، والأمر المكتسب لا يأخذ صفة الدوام أو العمومية — فى الغالب — لأكثر من جيل أو جيلين لتغير مصالح الانسان واتجاهاته مما يجعله يسعى لتغيير قوانين حياته وفقا لتغير طبيعته ومصالحه وطموحه، لكن القوانين والتشريعات السماوية هى التى تأخذ صفة الاستمرار والدوام ويقنع بها الانسان عن رضى بل ويدافع عنها (١) .

ومع أن التسامح كان أساسا هاما فى انتشار المسيحية ، الا أنه لم يبد الا فى حدود السلوك الشخصى ، حيث أن الذين اعتنقوا المسيحية من الحكام لم يطبقوه بشكل عام مع بقية الطوائف والأقليات الدينية ، بل بين أتباع المذاهب المسيحية بعضها وبعض (٢) ، فى حين اشتمل نظام الحكم الاسلامى —

(١) عن تغير العلاقة بين الأغلبية والأقلية وفشل الجهود الدولية المعاصرة فى تقنين حقوق الأقليات أنظر : د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .

(٢) د. عبد العزيز محمد الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ج ١ ط ٣ ص ٥٧٠ وما بعدها .

الذى يجمع فيه الحاكم بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية — على منهج ثابت وعادل لمعاملة الأقليات • وقد وضع هذا المنهج وبسرعة للأقليات منذ بدء الفتح الاسلامى ، ويبدو هذا فى شكوى القبطى المصرى لعمر بن الخطاب من ابن عمرو بن العاص ، ولم يكن هذا القبطى يعرف الخليفة ، لكنه تعرف على جوهر النظام الذى يعمل بمقتضاه الخليفة ^(٣) ، كما يتضح فى قول أحد منسوبي الكنيسة الشرقية فى القسطنطينية عندما فتحها السلطان محمد الفاتح « لأن تحكمنا فى القسطنطينية عمائم الترك أهون من أن تحكمنا قلانس اللاتين » •

على أن جمع الحاكم المسلم للسلطتين معا لايعنى الخضوع لمزاجه الشخصى كما يرى البعض ^(٤) ، فهناك اطار التزام أو حدود لسلطة هذا الحاكم وجبت معارضته اذا ماتخطاها ، وهو أمر يؤكد — على سبيل المثال وفيما يخص الأقليات — رد الفقيه الحسن البصرى على الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما سأله عن نكاح أهل الذمة للمحارم واقتناء الخمر والخنازير

(٣) من موقف عمر بن الخطاب من النصارى فى ايلياء وببيت المقدس أنظر : د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الاقليات ص ١٠٠ ، ١٠١ . وقد رفض الخليفة الصلاة فى الكنيسة حتى تصبح مسنة وتقلب مسجدا وقال : جئنا لنرسى قواعد الاخاء والعدل .

(٤) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص ١٠٦ .

فقال له : « انما بذلوا الجزية ليتذكروا وما يعتقدون ، وانما أنت متبع ولست مبتدع والسلام »^(٥) .

وقد كفلت الشريعة الاسلامية كافة أنواع الحريات في العقيدة والخطابة والكتابة والرأى والتفكير والاجتماع والاحتفال ماهو للمسلمين سواء بسواء ، بل كفلت لهم حرية مقد الحكومة الاسلامية والدين الاسلامي نفسه مثل ما للمسلمين من حق نقد مذاهبهم وفي حدود القانون^(٦) . كما حفظت للذمي حق الملكية وحفظ النفس والتساوى بالمسلم أمام القانون الجنائي والمدنى الا فيما يخص اعتقاده كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، بل واعفاه من حد الزنا في رأى بعض المذاهب .

وقد أسهم كل هذا في أن تنصهر الأقليات وبخاصة النصراني في الكل الاسلامي ، ومع أن ذلك كان نموذجا فريدا

(٥) أبو الأعلى المودودي : حقون أهل الذمة ص ١٨ . وقد حدد هذه السلطة أبو بكر الصديق في قوله عند توليه الخلافة « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم »
(٦) أبو الأعلى المودودي : المرجع السابق ص ٢٣ . ، عن الجزية ومقارنتها بالزكاة انظر : د. مصطفى كمال وصفى : مصنفه النظم الاسلامية ص ٤١١ — ٤١٤ .

(٧) أبو الأعلى المودودي : المرجع السابق ص ١٣ — ١٨ . ، د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الاثليات ص ١٠٣ .

يختلف عن كافة أنواع السياسات التي اتبعتها الأغلبية مع الأقلية (٨) ، إلا أنه قد ساعد الأقليات الدينية على الاحتفاظ بخصائصها الأصلية ذلك لأنه « لعب دورا رئيسيا في الاحتفاظ بالأهمية السياسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية ، وظلت القيمة الاجتماعية والسياسية للوحدة الدينية مسيطرة بعد انتشار مؤثرات الحضارة الغربية فى الشرق ، وبدء ظهور الاتجاه نحو عدم التمسك بالتعاليم الدينية » (٩) .

ولم يقف تطبيق المسلمين للتسامح مع الأقليات عند عصر الاسلام الأول بل امتد ليشمل أغلب فترات تاريخهم حتى فى فترات الضعف التى حدثت فيها تجاوزات عانى منها المسلمون قبل الأقليات الدينية (١٠) .

(٨) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص ٥٣ — ٧١ .

(٩) د. سميرة بحر : المرجع السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وعلى الرغم من أن التيارات الفكرية كانت فى مجملها تبحث عن صيغة عصرية تسمح لهم بالتعامل مع العصر الحديث وتبعدهم عن سيطرة رجال الدين إلا أنهم كانوا جميعا مهتمين بإرساء قيم التسامح الدينى والعلمانية فى العلاقات السياسية والاجتماعية . د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر المصرى ص ١٠٤ .

(١٠) عن تسامح المسلمين أنظر : د. سميرة بحر : المرجع السابق ص ٩٧ ومابعداها . د. عبد العزيز الشناوى : الدولة

ومصر كجزء من هذا الكل الاسلامى ، وبما لها من جذور عميقة فى الانتماء العقائدى قبل الاسلام^(١١) ، وبعد أن صقلت الديانات السماوية وآخرها الاسلام هذا الانتماء ، فانها قد أصبحت لها طابعا مميزا عن بقية الممالك الاسلامية حيث كانت أكثر هذه الممالك احتفاظا بالأهمية الأساسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية — وهو أمر يلتقى مع طبيعة الاسلام — ، كما أن الأقليات فيها وبخاصة الأقباط قد انصهرت انصهارا كاملا فى الكل الاسلامى ، ودافعت عن حقوقها من خلاله فى كثير من

العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج١ ص ٩٦ — ٩٨ ، ج ٢ ص ٩٦٨ ، ٩٦٩ . ، توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ت : د. حسن ابراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ط٣ ص ٧٤ وما بعدها . جريدة مصر : ١١/٣/١٩١٩ مثال لزكى على المحامى حيث يفرق بين ارتباط المصريين وما يحدث فى البلاد الغربية بين أهل الدين الواحد .

(١١) د. زكريا سليمان بيومى : مصر الحديثة بين الانتماء للعقائدى والقومى ص ٣ ، وعن دور بعض الزعماء من الأقباط المصريين أنظر :

J.C. Hurew its : The minarities in the political process in social Forces in the middle East p. 219. Greenwood press, Publishers N.Y. 1963.

الأحداث التاريخية ومن بينها ثورة سنة ١٩١٩م^(١٢) ، ويتضح

(١٢) ونعارض هنا الذين يعتبرون اشتراك الأقطاب وجهها علمانيا ، كما أن شعارات « الحرية والأخاء والمساواة » شعارات ماسونية لايعارضها — أى الشعارات — الاسلام ، وبالتالي لايعد ترديدها اiban الثورة دليلا على رواج أو نزوج التيار العلماني .
د. سميرة بحر : الأقطاب فى الحياة السياسية المصرية ص ٨٣ كما أن شعار « الدين لله والوطن للجميع » يؤكد الوجه الاسلامى ولا ينفيه وذلك لتوافق الانتماء الوطنى والانتماء العنساندى فى الاسلام . د. عاصم الدسوقى : ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم ص ٣٥ بل وذهب التصور بأمر الشعراء أحمد شوقى الى حد القول بأن الأقليات غير الاسلامية كانت مرتبطة بالدولة العثمانية — وهو مانعبر عنه بالانصهار فى الكل الاسلامى — ، ويفهم ذلك من قوله فى قصيدته التى نظمها بمناسبة انتصار كمال أتاتورك على اليونان وتطهير الأناضول والتى بداها بقوله :

الله اكبر كم فى الفتح من عجب
ياخالد الترك جدد خالد العرب

جاء قوله :

ومسلموا الهند والهندوس فى جزل
ومسلموا مصر والأقطاب فى طرب

ديوان شوقى — جا ص ٥٩ — ٦٣ . ، وعن أثر التسامح الاسلامى على انحلال الكنيسة أنظر : توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ١٤٩ ومابعدا .
==

ذلك — على سبيل المثال — في قول المفكر القبطي « سلامة موسى »
 حينما سئل عن سبب دفاعه عن العالم العربى وهو من الأقلية
 القبطية فأجاب أنه يدافع عن الاسلام لأنه دين وطنه الذى
 عاش فى أحضانه ، كما ذكر السياسى القبطى « مكرم عبيد »
 أنه « مسيحى ديناً ولكنه مسلم وطناً » (١٣) ، كما قال فى دعوته
 للوحدة العربية « ان تاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات لا بل
 شبكة محكمة العقد واذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية
 فى هذه الأقطار أوثق منها فى أى قطر من أقطار الأرض ، وأن
 التسامح الدينى نشأ وترعرع ومازال موجوداً بين أصحاب
 الأديان كلها فى الجازات الشقيقة ، أيقنت أن المقصود بقول :
 « المصريون عرب » هو هذه الوشائج وتلك الصلات التى لم
 تضمها الحدود الجغرافية ولم تنل منها الأطماع السياسية (١٤) .

== قام الأقباط ابان الحملة الفرنسية بمد يد العون الى النوار
 فى ثورتى القاهرة الأولى والثانية وبرز منهم المعلم جرجس جوهرى
 وفلتاؤوس وملطى فقد أمدوا الثوار بالذخائر والأموال وذلك برغم
 انضمام المعلم يعقوب وبعض الأقباط الى جانب الفرنسيين .
 د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى
 عليها ج٢ ص ٩٤٠ .

(١٣) د. أحمد سويلم العمري : أصول النظم السياسية
 المقارنة ص ١٠٥ وما بعدها .

(١٤) د. سميرة بحر : الاقباط فى الحياة السياسية المصرية
 ص ١١٨ .

وقال سياسى قبطى آخر وهو ويصا واصف للصـحـفـين
الانجليز فى ٦ يناير سنة ١٩٢٠ : « انكم لم تخاطبوا مواطنينا
فقط ولكنكم خاطبتهم خصومنا الذين تسهونهم (محايدين) وقد
قالوا لكم كل مايمكن أن يسيء اليـنا * قالوا لكم أننا لم نبلغ
رشدنا لانقبل المعارضة ، ثم قالوا لكم أننا كأمة اسلامية
لايمكن أن تتطور خارج الدين الاسلامى وأن الاخاء بين
المسيحيين والمسلمين واليهود مصطنع لايدوم وأن التساهل
الذى تروونه من مستلزمات القضية^(١٥) ، اذا أردتم الحكم
علينا فجردوا أنفسكم من المعتقدات القائمة فيها بغير حق كما
هى الحال عند جميع الشعوب عندما يريدون الحكم على غيرهم،
فهل سألتهم المعارضين عن الدليل الذى يثبت أن الدين الاسلامى
يخالف كل قوانين التطور * ذكرتم لنا رجال تركيا الفتاة وانى
لا أعرف أمة تفخر بجنسيتها مثل الأمة التركية التى تضعها
فوق كل شىء ، فالمثل الذى يضرب لكم غير مجد ، والحقيقة
أنكم بصفتمكم أنجلو سكسون تدخل فكرة الوطنية فى فهمكم
للدین ، ولكن ذلك مخالف لروح الاسلام الذى يريد أن يكون
جامعا ويشبه فى ذلك الدين الكاثوليكي » ، « ونحن المسيحيون
فى مصر ليس لكنيستنا مرام أبعد من حدود معينة وانى أعتقد
أنكم تحكمون على الاسلام فى ضوء فهمكم الخاص »^(١٦) *

(١٥) المقطم : ٦ يناير ١٩٢٠ .

(١٦) المقطم : ٦ يناير سنة ١٩٢٠ .

ولقد سبق لـ كرومر تأكيد هذه الحقيقة حينما أراد أن يتخذ من أقباط مصر—الذين يرتبطون معهم برابطة الدين—حلفاء ، فقد أدرك أن الاختلاف بين المسلمين والقبط قليل ، بل ان القبطى المصرى هو من رأسه الى قدمه مسلم ، والمرأة القبطية كما هو حال المسلمة معزولة ، وكذلك الشأن فى الأطفال وعادات الزواج، ومراسم الجنائز ، تكاد تكون متشابهة لنظائرها عند المسلمين ، وقد أدى به هذا الى أن يقرر أن الفرق بين المصرى المسيحى والمصرى المسلم هو اختلاف مكان تأدية العبادة فقط^(١٧) .

(17) Gromer : Modern Egypt. p. 617 - 622.

الاتجاه الاسلامى وأثره فى قيام الثورة :

الثورات كالمهزات الأرضية كلاهما لايتأتى من فراغ ، وكما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى أنها « ليست حركات ميكانيكية تبدو فجأة للناظرين بل هى حوادث اجتماعية تتمخض عنها حياة الشعوب تبعا لدرجة استعدادها ، ونتيجة لسريان روح الوطنية فى نفوس أبنائها » (١) .

ومن هنا فان تفسير ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ بأنها ثورة سياسية فقط يعد تفسيراً قاصراً ، فهى — كما يرى البعض — ثورة شاملة « قامت بفعل تراكمات وتناقضات حادة عنيفة الجذور » (٢) . كما أنه اذا كانت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عوامل لها أهمية بالغة فى قيام الثورة الا أن العامل الدينى يأتى فى مقدمة هذه العوامل (٣) ، فالذين

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ج١ ص ٦٢ .

(٢) د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة

المصرية ص ٢٠٨ .

(٣) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب

المعاصر ج٢ ص ٢٢ ، ٢٣ . د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان

المسلمون الجماعات الاسلامية ص ٣٩ .

Marshall. J.E. The Egyptian Enigma (1890 - 1928)

London 1928, p. 165.

يعتبرون هذه الثورة ثورة سياسية يعلنون وجهة نظرهم « بأن الاستغلال والقهر والظلم قديم في مصر ومع ذلك لم يشهد تاريخها الحديث — على أقل تقدير — مثل هذه الثورة^(٤) ، لكن ذلك يؤكد العامل الديني على غيره حيث تكمن فيه الاجابة على التساؤل : أكان من الممكن أن يثور الشعب المصري مهما تحمل وعانى ضد دولة الخلافة ؟ • ان تفسير تحمل المصريين لفساد الادارة العثمانية يكمن في سيادة الانتماء العقائدى عندهم على كل انتماء ، لكن الظلم والقسوة والاستغلال اذا ما صدر عن أجنبي « غير مسلم » أو « كافر » أو « ذمي » جرى النظر اليه طوال التاريخ الاسلامى باعتباره يخضع لحماية الاسلام والمسلمين » فان ذلك يمس مشاعر المصرى الدينية ، ويجرح كبرياءه الوطنى » ، ولم يكن أمامه الا أن يهب للدفاع عن نفسه « وليس في ذلك أى تعصب دينى أو شوفونية عقيدية »^(٥)

ومن هنا فان الثورة في مصر سنة ١٩١٩ كانت نتاجا طبيعيا لجهود عديدة من أبناء مصر الذين عبروا عن رفض شعب مصر المسلم للقهر والظلم والاستبداد والخضوع لغير المسلم بدءا من

(٤) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(٥) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص ٢٠٩ ،

٢١٠ . وحول هذا المعنى انظر : د. جلال يحيى : الثورة

والتنظيم السياسى ص ١٦٥ — ١٦٨ .

السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وأحمد عرابى وصحبه وعبد الله النديم ، وتوجت جميعها فى دعوة الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش حيث أسهموا جميعا فى تبديد اليأس الذى خيم على المصريين بعد فشل الثورة العرابية ومجىء الاحتلال، ووضعوا صيغة مقبولة للحركة الوطنية ربطوا فيها بين الانتماء العقائدى (الممثل فى دعوة الجامعة الاسلامية) والانتماء الوطنى (الدعوة لاستقلال مصر) فالتقت بذلك مع مفهوم الوطنية فى الاسلام وهو مفهوم روج له مجموعة من المفكرين المسلمين فى مصر من أمثال رفاة الطهطاوى *

وعبر عن هذا الاتجاه عبد الرحمن الرافعى فى قوله :
« ان لجهد مصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهما وتلاميذهما أثرا كبيرا فى قيام ثورة سنة ١٩١٩ ذلك بما غرسوا فى النفوس من الدعوة الى الجهاد الخالص لله والوطن ^(٦) ، كما عبر عنه الزعيم محمد فريد بقوله معلقا على قيام الثورة : « نشكر الله على هذه النتيجة الحسنة التى دلت على أن ما ألقاه مؤسسوا

(٦) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ج١ ص ٦٢ ، وقد أكد سعد زغلول هذا المعنى فى أكثر من مناسبة ، ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٢٤ .

الحركة الوطنية من البذور في تلك الأرض الخصبة قد نبت وترعرع ساقه ثم أزهى وظهرت ثماره « (٧) » .

وقد أدركت البعثات التبشيرية في مصر هذا الاتجاه وأوضحت في تقريرها عن ثورة سنة ١٩١٩ فأكدت « وجود ارتباط كبير بين مفهوم الدين والدولة في الحركة الوطنية ، فالخليفة ليس زعيما روحيا فحسب وإنما هو زعيما سياسيا كذلك » ، وأن « هذه المفاهيم سائدة بين العامة وبين المثقفين والمعلمين واتضح هذا في حركة عرابي ومصطفى كامل بعد ذلك ، وكانت ثورة سنة ١٩١٩ تحت السطح ، وكانت بعض الشعارات تنادى بأن « الجحيم مع الأتراك أفضل من الجنة مع المسيحيين البريطانيين » (٨) .

ويرى البعض أنه لولا هجرة محمد فريد ثم الشيخ عبد العزيز جلاويش الى أوروبا ثم قيام الحرب العالمية الأولى

(٧) عبد الرحمن الرافعي : ثورة سنة ١٩١٩ ج٢ ص — ٦٦ . وكانت دعوة محمد فريد لتوضيح نوايا الأتراك تجاه مصر والمطالبة بالمساواة معهم مثل النمسا والمجر ردا على مظهر من أطماع بعض القوميين الأتراك ، لكن استمرار طلب الارتباط بتركيا كان هدفا اسلاميا أكثر منه قوميا . عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٩١٨ — ١٩٣٦ ص ٦٢ .

(٨) د. حاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ في الأقاليم ص ٣٧

وماتبعها من اعلان الحماية البريطانية على مصر وتقبيد حرية المصريين ونفى زعمائهم واغلاق صحفهم ، لكن من الممكن أن تشب الثورة في مصر قبل سنة ١٩١٩^(٩) .

وحيثما بدأت الحرب العالمية الأولى وأعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا وصدر قرار مجلس الوزراء المصري بمنع التعامل مع ألمانيا رأى بعض السياسيين المصريين كأحمد لطفي السيد استغلال هذا الموقف وطلب استقلال مصر اذا دخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا ، ولكن السير روناود جراهام المستشار البريطاني لوزارة الداخلية المصرية رفض هذا الاقتراح لأن مصر اذا حصلت على استقلالها « ستكون مرغمة على تأييد الامبراطورية العثمانية ضد بريطانيا وليس العكس لأن الرأي العام المصري يعطف على الخلافة ويعادى بريطانيا » وقال : « يا صاحبي نحن نعرفكم كما تعرفون أنفسكم فحين ظهور أول طربوش تركي في القنال نتركونا وتجرون وراءه »^(١٠) .

(٩) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية في مصر ١٩٠٨ — ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٧٩ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(١٠) مجيد خدوري : عرب معاصرون ص ٣٢٠ . . ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص ٤٦ . ، عبد الرحمن الرافعي : ثورة سنة ١٩١٩ ج ٢ ص ١٣ . وقد صدر قرار مجلس الوزراء المذكور في ٥ اغسطس سنة ١٩١٤ .

وحينما أعلنت الأحكام العرفية في مصر في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٤ حذر المنشور الصادر بهذا الصدد المصريين من الانضمام لأعداء بريطانيا (يقصد تركيا) ، وفي أعقاب اعلان بريطانيا الحرب على تركيا لدخول الأخيرة الحرب الى جانب ألمانيا منحت إنجلترا مستشارها في وزارة الداخلية المصرية صلاحيات عسكرية جعلته يقوم بالقبض على طائفة من الأتراك وكثير من أتباع الحزب الوطنى المتشيعين لتركيا مخافة اثاره الرأى العام المسلم ضد بريطانيا^(١١) ، وهو أمر يبدو فيما تضمنه المنشور حيث جاء فيه « ولعلم بريطانيا العظمى بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى القطر المصرى فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو أداء أى مساعدة لأعدائها^(١٢) » . واستتبع ذلك استصدار الاحتلال لفتوى من بعض مشايخ الأزهر في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٤ — وهذا من

(١١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٥٦ . ، عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ج ٢ ص ٣٠ ، ٣١ .
 (١٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ج ٢ ص ١٧ .

المواقف السلبية للآزهر — تدعو السكان الى احترام النظام والامتناع عن الاتيان بأى عمل سياسى^(١٣) .

وعقب اعلان الحماية فى الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر قرار بخلع الخديو عباس حلمى الثانى وتعيين السلطان حسين كامل سلطانا على مصر ألح السلطان الجديد فى طلب منح مصر استقلالها كبديل لانهاء السيادة العثمانية « لأن قيام حالة الحرب ضد خليفة المسلمين سوف تثير المصريين الى درجة كبيرة اذ هم يدينون بالولاء له »^(١٤) . ورغم حركة الاعتقالات الواسعة والاجراءات القمعية وجلب عدد كبير من الجيش البريطانى والبوليس وتجنيد اليونانيين والرقابة على كافة الأجهزة من بريد وبرق ومواصلات وغير ذلك ، والرقابة الشديدة على الصحف لدرجة وصفها « سلامة موسى » بقوله : « كنا نقرأ الأخبار كما يجب الانجليز أن نفهمها »^(١٥) ، رغم كل هذا ظل العامل الدينى يحرك المصريين للثورة ، فقامت محاولتان لاغتيال السلطان حسين كامل لقبوله العرش بقرار من الانجليز وفى نفس

(١٣) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية ص ٣٤٧ .

(١٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(١٥) د. محمد أنيس : أزمة الحركة الوطنية ابار الحرب

الأولى — الأهرام ١٦/٦/١٩٧٢ .

الوقت كتعبير للتعاطف — الذى ظل مستمرا — مع الخديو السابق الذى لجأ الى دولة الخلافة^(١٦) ، وذلك على الرغم من أن بريطانيا قد أعلنت فى قرارها بتعيين السلطان حسين كامل أنها تعادى حكومة الاتحاديين ولا تعادى الخلافة لأنها تعلم ارتباط المصريين بها^(١٧) .

وحينما بدأ الاعداد للحملة التركية على مصر أعد الخديو عباس حلمى الثانى منشورا حاول فيه إثارة مشاعر المصريين حيث تصممت كلماته « جلالة الخليفة » « أمير المؤمنين » « العناية الالهية »^(١٨) ، فى حين ألقت السلطات البريطانية القبض على البقية الباقية من المنتسبين للحزب الوطنى مثل أحمد جاويش والشيخ محمود خطاب ووجدوا فى بيت الأخير أوراق وكتب وأسلحة ، كما صدر أمر القائد البريطانى محذرا لمن توجد لديه منشورات تدعو للتعاون مع الحملة التركية^(١٩) .

(١٦) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(١٧) د. محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ١١ .

(١٨) أحمد شوقي : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ص ٣٨١ .

(١٩) د. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ — ١٩٢٤ ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

وبرغم كل ذلك كان البريطانيون يتوقعون مساعدة المصريين للحملة فاحتفظوا بقوة كبيرة في القاهرة وفرضوا إجراءات أمن قوية ، فضلا عن أنهم قد حشدوا جيشا كبيرا لمواجهة هذه الحملة فاق خمس أمثال جيش جمال باشا (٢٠) .
وقد منعت إجراءات الأمن وحركة النفي المصريين من القيام بعمل كان ينتظره منهم الأتراك ، الى جانب أسباب عديدة في قيادة الحملة أسهمت في فشلها (٢١) .

على أن ما ينبغي الاشارة اليه هو أن المصريين الذين كانوا في صفوف الجيش البريطاني قد رفضوا اطلاق النار على الأتراك ، كما أن الانجليز قد تمكنوا من اخمد ثورة — محدودة — كان بعض شباب الحزب الوطنى قد أعدوا لها في المنصورة لمساندة الحملة التركية فور عبورها للقناة (٢٢) ، وهو أمر تؤكد حركه

(٢٠) عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٨ — ١٩٣٦
ص ٥٧ — ٥٩ .

(٢١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ص ٢٠١ ،
٢٠٢ . ، لطيفة محمد سالم : مصر في الحرب العالمية الأولى ،
١٩١٤ — ١٩١٨ — رسالة ماجستير غير منشورة ص ٥٦١ .

(٢٢) د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم : على الغاياتى ،
ص ٣٨ . ، د. زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ٢٠٢ . ،
د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ١١ هامش ٦ . ،

==

الاعتقالات والنفي التي أعقبت فشل الحملة حيث نفي كثير من شباب الحزب الوطني الى مالطة ، وحددت اقامة الكثير في قراهم^(٢٣) . وبرغم هذه الاجراءات تكونت جماعة سرية سنة ١٩١٨ تهدف الى الاتصال بالسنوسيين للهجوم على الانجليز في مصر^(٢٤) .

وعقب سقوط الآستانة في يد الحلفاء عم الحزن في مصر ونظم شاعر النيل حافظ ابراهيم قصيدة قال فيها :

« أيا صوفيا » حان التفرق فاذكرى
عهد كرام فيك صلوا وسلموا
إذا عدت يوما للصايب وأهله
وحلى نواحيك المسيح ومريم
ودقت نواقيس وقام مزمر
من الروم في محرابه يترنم

أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ، ج٣ ص ٢٨ - ٣٠ .
د. محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية . ج ١
ص ٧٢ .

(٢٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسي
ص ٩٤ .

(٢٤) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٢

— ٣٣ —

فلا تتكرى عهد المآذن انه
على الله من عهد النواقيس أكرم^(٢٥)

وقال الشاعر أحمد محرم : —

الترك جند الله لولا بأسهم لم يبق في الدنيا مقيم أذان

وخاطب فكرى أباطة الترك بهذه المناسبة قائلا : حياكم
الله أيها الأبطال ، أبطال الأناضول ، أنتم أبناء الموت وينو
الكريهة وخواضوا الغمرات ، وختم مقالته بـ : أيها الأعداء ...
ان تركيا لم تمت وأن تركيا لن تموت »^(٢٦) .

ولم يكن الوجه الاسلامي خافيا منذ أول يوم من قيام

(٢٥) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٥

(٢٦) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج٢
ص ٢٨ ، ٢٩ . وفي ذلك رد على ماجاء في جريدة « النظام » من
أن المصريين المسلمين تغاضوا عن العلاقات الدينية التي تربطهم
ب«الافتهم » وساءعدوا الحلفاء على قتالها وكسرها ، وكانت
« النظام » تحمل وجهة نظر قلة من المثقفين الليبراليين الراغبين
في تكوين الجماعة السياسية على أساس قومي ، وأن انحسار
أيديولوجية الجامعة الاسلامية لايعنى غياب أو ضعف العامل
الديني . انظر : طارق البشرى : المسلمون والابطاط ص ١٤٣ .
رمزى ميخائيل جيد : الوحدة الوطنية في ثورة سنة ١٩١٩ ص ٥٠

الثورة — وهو أمر أكدته العديد من الدراسات الأوروبية^(٣٧) —
 فيتخذ الثوار من الأزهر مقرا للاجتماعات^(٣٨) ، والذين يثيرون
 الثوار هم مشايخ الأزهر ، أو غيرهم ممن يتخذون منابر
 المساجد ، وحتى الخطباء من الأقباط يخطبون في الأزهر الذي
 « لم يكن غير مركز للتسامح الديني » حيث « تتآخى المسلمون
 مع غيرهم من مواطنيهم » ، ويدلل خطباء المسيحيين على
 التآخي بين المسلمين والأقباط بالآيات القرآنية والأحاديث
 النبوية الشريفة^(٣٩) . ويخطب مشايخ الأزهر في الكنائس
 لتأكيد هذا التسامح لشحذ الهمم للدفاع عن الوطن — الدين
 لله والوطن للجميع — وهو أمر تتضمنه أيديولوجيتهم لا لصبغ
 الثورة بالصبغة القومية ، كما لم يكن تعبيرا عن نزوح تيار
 علماني ليبرالي جديد — كما يرى البعض — حيث لم يكن الوعي
 بمثل هذا التيار قد خرج عن فئة محدودة من المثقفين ثقافة
 غربية ، وساندته — عن غير وعي — مجموعة من الأقباط^(٤٠) .

(٣٧) د. عاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ في الأقاليم
 ص ٣٥ .

(٣٨) عبد العظيم رمضان : الحركة الوطنية ١٩١٨ — ١٩٣٦
 ص ١٣٥ حيث يذكر أنه في ١٨ مارس سنة ١٩١٩ حينما اجتمع عمال
 العنابر وبعض الصناع قصدوا الأزهر لولا رصاص الانجليز .
 (٣٩) جريدة مصر : ١ أبريل سنة ١٩١٩ « المسلمون في
 الكنائس القبطية والقسوس في الأزهر الشريف » .
 (٤٠) طارق البشري : المسلمون والأقباط ص ١٤٠ .
 د. سمير بحر : الأقباط ص ٨٠ .

وإذا كان قد حدث اعتداء من بعض المصريين المسلمين على الأرمن فإنه كان بمثابة رد فعل لموقفهم من الأتراك ، وقد بدا رد الفعل هذا ضد الايطاليين واليونانيين في الاسكندرية في مايو سنة ١٩٢١^(٣١) ، لكنهم سرعان ما عادوا لسماحهم فبدل مشايخ الأزهر الكثير لاقناعهم بحماية المصريين دون طلب الحراسة البريطانية^(٣٢) .

ويدرك الاحتلال خطورة تأثير الأزهر فتستدعى دار الحماية الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر وتطلب منه غلق الأزهر فيرفض فيحاصر الانجليز الأزهر ويمنعون اجتماعا كان سيعقد فيه فيتجه المجتمعون الى مسجد بن طولون^(٣٣) .

ويشكل الأزهر قوة « البوليس الوطنى » فتتعم من العامة بالطاعة والتأييد والمساعدة ، فيصدر الاحتلال أمرا في ١٧ أبريل سنة ١٩١٩ يتضمن التهديد باعتقال من يحمل شعار هذا

(٣١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٢ ،

٢٣ .

(٣٢) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣١٥ ، ٣١٩ .

(٣٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ج١ ص ٢٥٩ .

البوليس (٣٤) ، ويشكل الأزهر لجنة من مشايخه لجمع المال للاضراب (٣٥) .

ولم تجد سلطات الاحتلال من بد سوى البحث عن كيفية التعاون مع مجموعة من مشايخ الأزهر في محاولة لتهدئة — أو تخدير — الجماهير فيعقد « اجتماع كبير في الأزهر يحضره ١٢ ألف شخص وقرأ عليهم أحد المشايخ برقية قيل أنها من الرئيس الأمريكي ولسن للوكيل الفرنسي في مصر جاء فيها مناشدة الانجليز بمغادرة مصر فوراً (٣٦) ثم يعقد اجتماع للغرض نفسه في ١٩ أبريل سنة ١٩١٩ في الأزهر يطرح فيه مدى معاناة الأسر المصرية التي لا تستطيع « تحمل الجوع » (٣٧) ثم تنتسب الشائعات عن اختلاس بعض مشايخ الأزهر لثلاث آلاف جنيه كانت قد جمعت لأسر الشهداء والمضربين (٣٨) ، ثم يقترح أحد السودانين من مشايخ الطرق

(٣٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٣٥) ٥٠. عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣١٦ .

(٣٦) ٥٠. عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٢٧ .

(٣٧) ٥٠. عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٢٥ .

(٣٨) ٥٠. عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٢٦ . . وقد وجد بعض المشايخ ممن تعاملوا مع سلطات الاحتلال ضد الحركة الوطنية . د. عاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ في الأقايم ص ٤٩٩ . ١٠٠ .

الصوفية أن يسافر وفد من السودانيين الى باريس » ليعلنوا أمام المؤتمر ولاءهم للبريطانيين ويؤكدوا سعادتهم بالحكم البريطاني وتقدمهم في ظله (٣٩) » ♦

وفي ريف مصر كان الفلاحون — لسلامة طويتهم — « يقعون تحت تأثير مفاهيم دينية حول العقيدة والايمان تلقى عليهم فتجعلهم يطلقون النار دون وعى (٤٠) » ♦ وبرغم الادعاء بمجهل هؤلاء الفلاحين بالأحوال السياسية ذكر سير ♦ م ♦ تشيقاتم في برقية الى ايرل كيزرون في ١٩ مارس سنة ١٩١٩ « أن العلم التركي في بعض القرى (٤١) » ♦

وقد صور مجلس الجالية البريطانية — وهو مجلس يمثل كافة المصالح البريطانية في مصر في مختلف المجالات والمؤسسات — هذه الحقيقة في تقريره حيث ذكر « أن السلطات البريطانية لم تدرك جيدا المقولة المعروفة بأن حكم شعب مسلم بواسطة أمة مسيحية من شأنه أن يشحن الوضع القائم بأخطار معينة وأن تجنب الاضطرابات يتطلب قدرا كبيرا من التعقل والرزانة في معالجة الموقف » (٤٢) ♦

(٣٩) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٢٦ ♦

(٤٠) د. عاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ في الأقاليم ص ٣٧

(٤١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٢١٧ ♦

(٤٢) د. عاصم الدسوقي : المرجع السابق ص ٤٠

وأقر الدكتور « جريس ميسفور » بتطابق الجنسية مع العقيدة الدينية في مصر والشرق كله ، وأن هتافات طلبة الأزهر « يحيا الوطن » كانت تعنى « يحيا الدين » ، وأن شعور العداء لانجلترا ليس بسبب أنها دولة أجنبية ولكن لأنها دولة غير إسلامية (٤٣) .

(٤٣) د. عاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٥ ، ٣٦ .

مدى تعبير قادة الوفد الذين حاولوا صبغ الثورة بالصـبغة العلمانية عن المصريين :

على الرغم من اجماع أغلب الصحف التى كانت تصدر
ابان ثورة سنة ١٩١٩ على أنها ثورة علمانية ، الا أن هذه الصحف
لم تكن تعبر عن رأى غالبية المصريين حيث كانت بعض هذه
الصحف خاضعة لمجموعة من المثقفين العلمانيين الذين وصلوا
الى قيادة ثورة سنة ١٩١٩ « كالأهرام » « والنظام »
و « الأفكار » و « الأخبار » ، وكانوا حريصين على التروبيج
لفكرهم فضلا عن أنه يتمشى مع أسلوبهم السياسى المعتدل
الى جانب حرصهم على نفى صفة التطرف الدينى والسياسى
فى محاولة لجذب انتباه وتأييد الرأى العام الأوروبى ^(١) . وكان
البعض الآخر مملوك للاقباط « كمصر » و « الوطن » أو
لنصارى شوام مثل « المقطم » وهم فى مجموعهم يروجون لهذا
الاتجاه اما ايماننا به أو لأنهم يلوزون بأى من التيارات البعيدة
عن الاسلامية ، أو بمعنى آخر « لأن قوميتهم — كمسيحيين —

(١) وقد كتب أغلب هؤلاء مذكراتهم التى تعتبر المصدر الثانى
بعد الصحف الذى صبغ الثورة بالصبغة العلمانية .

كانت قومية علمانية لا تصطبغ بالصبغة القومية العربية
الاسلامية (٢) .

وهناك عوامل أخرى ساعدت على التمدادى فى صبغ

(٢) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص ١٠٩ .
وقد خضعت الصحف جميعها لرقابة شديدة ، أنظر :
F.O. 407/184, No. 144 From Allenby to Curzon, 4 April
1919.

كما أن بعض هذه الصحف كان مواليا للاحتلال «كالوطن»
و « البصر » . ومما يؤكد أن هذه الصحف فى منهجها وبفعل
الرقابة لم تكن تعبر عن آراء الجماهير لجوء الجماهير الى المنشورات
السرية التى وصفها الاحتلال بالتطرف ، والتى شارك فيها الحزب
الوطنى وحمل أغلبها الطابع الدينى ، أنظر : د. خليل مسسابات
وآخرين : حرية الصحافة فى مصر ٣٢٨ ، ٣٢٩ . وكانت هناك صحف
سرية مثل « الرعد المصرى » و « البلابل » و « المرزبة » و
« الطلبة » و « الوفد المصرى » و « أبو الهول » و « المصرى
الحر » وقد بذلت سلطات الاحتلال قسدا كبيرا فى مهاجمتها ، أنظر :
F.O. 407/184, No. 240, From Allenby to Curzon 6 April
1919.

وحاول الانجليز منع المقالات التى تحض المصريين ولو بأسلوب
غير مباشر على الثورة والتى جاءت فى الصحافة الأجنبية كالصحافة
الفرنسية أنظر :

F.O. 407/181, No. 327, From Curzon to Allenby 16 May
1919.

الثورة بالصبغة العلمانية تتمثل في هزيمة دولة الخلافة وانحسار فكرة الجامعة الاسلامية وتراجع المؤسسات التقليدية الاسلامية في مصر وفي مقدمتها الأزهر ، الى جانب غيبة — من سـمـوا بالمتطرفين — زعماء الحزب الوطنى الذى روجوا للايديولوجية الاسلامية الوطنية ، كما أن الثورة لم تكن تحمل العداء للاجانب أو أن لها اتجاها عربيا ♦

وسبق التوضيح بأن هذه العوامل لم تستطع أن تخف أو تثقل أثر العامل الدينى — عند غالبية المصريين — في قيام الثورة ♦ وسـنـحـاول الان أن نجيب على التساؤل الى أى حد كانت المجموعة المكونة للوفد والتي أسهمت الظروف في وصولها الى زعامة ثورة سنة ١٩١٩ وعلى رأسهم سعد زغول — وهم الذين صبغوا الثورة بالصبغة العلمانية — تمثل الجماهير الشائرة ؟ وهل كان الوعى بالنتيار العلمانى ناضجا لدى هذه الجماهير ؟ ♦

وتتنمى هذه المجموعة — من المعتدلين — الى حزب الأمة ، ذلك الحزب الذى كان يمثل مجموعة من البورجوازيين المصريين وكبار الملاك ، وكان أغلبهم قد تلقى تعليمه في أوروبا ، ولهذا انحصرت تصوراتهم لحل مشكلة البلاد في الارتباط بالغرب والحضارة الغربية وتنمية الانتماء القومى دون الارتباط بدولة الخلافة وبالتالي بفكرة الجامعة الاسلامية ♦

وقد نعم هذا الفريق — ومنذ البداية — بمساندة الاحتلال البريطاني الذي نمت آمالهم في الاعتماد عليه والتفاهم المباشر معه إذا ما أرادوا تحديث بلادهم ، كما رأى هذا الفريق أنه إذا كان من ضرورة للاستعمار فانهم يختارون الاستعمار البريطاني (٣) .

وكان سعد زغلول ينتمي لهذه المدرسة « التي تختلف مع مدرسة الحزب الوطني التي كانت تأبى الاعتراف بالانجليز والتعامل معهم واعداد الجماهير لجابتهم » ، ولهذا فانه في الوقت الذي خطط فيه الاحتلال لنفى واعتقال زعماء الحزب الوطني لاخلاء الميدان منهم حتى يؤكد لنفسه في مصر ، كان يقرب اليه مدرسة حزب الأمة كي يهيء الميدان لفئات جيلت على التعامل المباشر معه ، ورحبت باعلانه للحماية حيث اعتبروها أكثر ملاءمة لمصلحة الأمة ومستقبلها ، وكان لهذا يدفع مرتبات

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ — ص ٦٠ ، ٦١ ، ٨٦ ، ٨٧ . مع العلم بأن اعتبار الوجود العثماني استعمار مغاير للحقيقة ، فعلى الأقل كانت العلاقة بين مصر ودولة الخلافة قد قننتها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ونالت مصر بموجبها استقلالاً يكاد يكون تاماً .

لبعضهم كسعد زغلول ورشدي باشا ويمنحهم معاشات تقاعدية الى حين وفاتهم (٤) .

ومن حيث تشكيل الوفد فلم يكن سعد زغلول صاحب فكرته أو مؤسسه كما شاع بعد ذلك ، بل أنه حينما عرضت عليه فكرة تشكيل الوفد لأول مرة من محمد محمود باشا رفض بحجة « أن الوقت غير مناسب لأن الانجليز منتصرون وعددهم ومعداتهم كثيرة تملأ البلاد » وهذا وضع لا أمل معه في الحصول على شيء منهم » (٥) ، وكان سعد بهذا يواصل خطب

(٤) د. مكي شبكية : بريطانيا وثورة سنة ١٩١٩ المصرية

ص ٥٣ .

(٥) عبد العزيز فهمي : هذه حياتي ، تقديم طاهر الطناحي ، ص ٧٢ ، ٧٣ . ويرى البعض أن أول من فكر في الوفد رئيس الجالية الفرنسية وأبلغ بها حافظ رمضان (الذي أصبح رئيسا للحزب الوطني بعد ذلك) ، وقد نقل الفكرة الى سعد زغلول بحكم جبرتهما وصدائتهما فاستخف بها ، لكن لما أعيد عرضها في عيد جلوس السلطان فؤاد عاد واهتم بها ، فتحنى رضوان : مشهورون منسيون — ص ٦٠ . ويورى البعض أن صاحب الفكرة هو الأمير عمر طوسون ، وأن سعد زغلول ورفاقه قد خططوا لابعاده عن زعامة الوفد بحجة أن « خطبة التفاهم المباشر مع الانجليز كانت لا تتفق مع نظرة الأمير الى المسألة المصرية كمسألة دولية ، ومن ثم فلم يكن من المتوقع أن تحظى بموافقة عليها . وكذلك ما عرف عن الجفاء بين الأمير والانجليز لم يكن من العوامل التي تشجع سعد ورفاقه على ضمه لصفوفهم بعد تقريرهم الاتصال المباشر مع الانجليز » عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ٨٧ .

ود الانجليز حتى يعين في منصب الوزارة ، لكن بعد أن رفضت وزارة الخارجية البريطانية ترشيحه للوزارة ، وكانت فكرة الوفد قد سرت بين العديد من رجال السياسة ، وافق سعد على الانضمام اليه ^(٦) .

وقد خلا الوفد في تشكيله سنة ١٩١٨ من ممثلين للعمال والفلاحين الذين يمثلون أغلبية شعب مصر ^(٧) ، كما أن رئاسة سعد زغلول للوفد المشكل لم تكن تشغل بال سلطات الاحتلال في مصر ، فيكتب لمن تشاتهم القائم بأعمال المندوب السامي الى اللورد كيرزون وزير الخارجية رسالة في ٢٤ فبراير سنة ١٩١٩ ذكر فيها أن « سعد زغلول ليس موضعاً لثقة أحد » وأن « الموقف — الذي لايشبه في خطورته ان قليلاً أو كثيراً ماكان عليه أيام مصطفى كامل — لايستدعى الخوف أو يستوجب أن تتأثر به الحكومة الانجليزية فيما يتعلق بالمسائل الدستورية والشكل الذي يجب أن تصطبغ به الحماية » ^(٨) .

وفي أعقاب لقاء سعد زغلول وصحبه بالمندوب السامي البريطاني لطلب الحصول على السفر ، أدرك المندوب السامي

(٦) ويقل ، (المارشال) : اللبني في مصر ، ص ٣٩ .

(٧) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة المصرية ص ١١ .

(٨) د. أحمد عبد الرحيم عبد الرحمن مصطفى : نزاع مصر السياسي ص ١١٠ ..

« أن سعدا وأنصاره خليقون بأن يكونوا أقل خطرا في مؤتمر الصلح حيث سيتعين عليهم العمل في جو لم يألوه ، منهم في مصر نفسها حيث كان في ميسورهم أن يرسموا لبريطانيا الخطوط الرئيسية لسلوكها » (٩) .

وكان الانجليز يدركون أن انفجارا يلوح في الأفق ، لكنهم قدروا أن يحدث في الصيف حيث يتم تسريح الجيش الانجليزى ويكون رؤساء الحكومة غائبين في أجازاتهم (١٠) ، وكانوا يخشون قيادة متطرفة تظهر فجأة لأنهم كانوا يدركون أن « هؤلاء الذين يطلق عليهم أعضاء الوفد لم تكن لهم شعبية تذكر حتى ذلك الوقت » (١١) ، وأن سعد زغلول لا يثق بشخص فيه ، وأنه يلقي هجوما بأنه لم يكن البطل الصالح للاستقلال ، وأنه بدأ يلقي صعوبات للاحتفاظ بمركزه في أعين الناس (١٢) .

-
- (٩) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٧٢٥ .
 وكان تأييد رشدي وعدلى لوفد سعد بالسفر ينبع من رغبتهما في تمثيل مهمة سعد ورفاقه ولا ينفردا هم بالفشل .
 د . مكى شببكية : المرجع السابق ص ٥٩ .
 (١٠) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ص ٢٦٩ . تقرير من المستر باتسرسون في مايو سنة ١٩١٩ .
 (١١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩٩ ص ٢٦٩ .
 (١٢) د . مكى شببكية : المرجع السابق ص ٥٤ ، ٦١ حيث يذكر أن تشيتام أرسل في برقية بعث بها للندن في ١٩١٩/٣/٦ أن ميل سعد للعنف يرجع الى رغبته — حسب تفسيره — في احكام قبضته على طبقة المتقنين .

ومن هنا كان لابد من محاولة الربط بين الجماهير التي قد تنثور في أى لحظة وبين هؤلاء المعتدلين ، فجاء الربط — الذى مهدت له الصحف بمتابعة أخبار الوفد وتضخيم دوره — فى حادث القبض على سعد ورفاقه واعتقالهم ونفيهم الى مالطة ، ويتضح ذلك فى التقرير الذى أرسله اللنبى الى كيرزون فى ٤ مايو سنة ١٩١٩ حيث يذكر فيه : « وكانت الاثار المباشرة التى تترتب على اعتقاله أن أصبح سعد زغلول ورفاقه أبطالا شعبيين » (١٣) .

وعلى الرغم من أن الثورة قد قامت على أثر حادث الاعتقال الا أنه كان أمرا مفاجئا لهؤلاء الزعماء المعتقلين ، فهم لم يعدوا للثورة (١٤) ، ولم يؤمنوا الا بسياسة التفاهم المباشر

(١٣) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : من اللنبى الى كيرزون فى ١٩١٩/٥/٤ ص ٢٧٧ . د . زكريا سليمان : الحرب الوطنى ص ٧٨ . ويذكر تشييتام فى برقية بعث بها الى لندن فى ١٩١٩/٣/٦ ذكر فيها تبريره لتأجيل القبض على سعد أو عدم التصدى له بأنه ليس مهيجا سياسيا ، وأن صفاته فى المكر والدعاية أشد خطرا على الذين اعتقلوا ونفوا الى مالطة فى أول الحرب ، وبرر طالبه للقبض عليه بأنه ذو مصلحة سياسية لهم . د . مكى شببكية : المرجع اسبق ص ٦١ .

(١٤) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص ٢٤ . حيث يذكر سعد زغلول فى خطبة له بفندق شبرد يوم ٢٠ أبريل سنة ١٩٢١

مع الانجليز ، بل ان الثورة التى تمت فى غيبتهم ربما كانت على غير ارادة بعضهم^(١٥) ، ومن هنا يمكن قبول الرأى القائل بأن أول نبأ عن الثورة يسمع به سعد زغلول فى مالطة قد أحزنه » اذ خيل اليه أن هذه الاضطرابات مدبرة وأنها ثمرة دسائس بريطانيا ، للتأثير بها على الرأى العام العالمى باظهار مصر فى ثوب أمة تسلك مسلك العنف فى المطالبة بحقوقها ، وأن ثورتها ليست ثورة أحرار يل ثورة مخربين وسفاكى دماء وقتلة^(١٦) بل ان قيادة الوفد حينما رأت تزايد الحركة الثورية أصدرت العديد من البيانات — مستخدمة الأسلوب الدينى — لتخص الجماهير على الكف عن الثورة ، وطلبت من أعيان البلاد القيام بهذا الأمر باتخاذ كافة الوسائل لمنع وقوع كل ماينجم عنه — ما اعتبرته — ضد البلاد^(١٧) . كما أنهم كانوا لايرتضون الأسلوب — الذى وصفوه بالتطرف — الذى صيغت به المنشورات السرية التى كانت تصدر عن الثوار بعد أن ضيقت سلطات الاحتلال على

أن حركة مصر الاستقلالية منذ زمان بعيد على يد مصطفى كامل ومحمد فريد ، وفى خطبة أخرى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ذكر فيها أنه ليس خالق هذه النهضة .

(١٥) د. عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ص ٢٠٧ .

(١٦) فتحي رضوان : مشهورون منسيون ، ص ٧٠ .

(١٧) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة ص ٢٢ . محمد

صبيح : كفاح شعوب مصر ، ط ٢ ص ٦٠٧ .

الصحافة ، لكنهم لم يستطيعوا اعلان وجهة نظرهم خثية الضرر الذى يقع عليهم من الجماهير الثائرة (١٨) .

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك الغرض الذى جعل المجموعة الممثلة فى الوفد تحاول أن تصنع الثورة بصبغة علمانية ، وأن تظهر الشعب المصرى فى صورة الشعب المسالم الذى يكره الثغب ولا يكره الأجانب ويتسامح مع الأقليات « المسيحية بالذات » ، فقد كان الغرض هو الحصول على مساندة وتأييد الدول المنتصرة وأولها أمريكا وفرنسا ، والرأى العام فى إنجلترا نفسها وهو أمر دعاهم لأن يخالفوا الحقيقة ويذكروا أن الشعب المصرى قد ساند بريطانيا فى الحرب ضد الدولة العثمانية مما اعتبره البعض « تملق بارد لايرضى به المصريون » لأنه « يعضب المسلمين عموما » وهو لهذا يغضب المصريين (١٩) .

ومن هنا يمكن ادراك ما توقعه الزعيم محمد فريد ورجال الحزب الوطنى من حدوث اتفاق بين سعد وإنجلترا على اصلاحات داخلية فى مصر ، وهو أمر يؤكد اتصال أعضاء

(18) F.O., 407/185, No. 382 From Allenby to Curzon, 20, Nov. 1919.

(١٩) أوراق محمد فريد : المجلد الاول — مذكراتى بعد الهجرة ص ٤٣١ .

الوفد بأمريكا بعد اعتراف رئيسها ولمن بالحماية الانجليزية على مصر حيث كانوا يأملون في مساعدته لهم على أحداث هذه الإصلاحات^(٢٠) . ولهذا كان من الضروري على إنجلترا أن تساعد على « رجحان كفة الجانب — الممثل في هؤلاء — الداعى للتغيير » وتمكن له من السيطرة على الحكم ، والاستحواذ على أدوات وطرائق وامكانيات التأثير^(٢١) .

ومن الأمور التى ساعدت على بروز سعد زغلول وأنصاره هزيمة تركيا وضعف حركة الجامعة الاسلامية ثم الغاء الخلافة رسميا بعد ذلك^(٢٢) . وقد أدى ذلك بالضرورة الى انتقال الحركة الوطنية من المفهوم العام للجامعة الاسلامية الى المعنى المحدود للوطنية المصرية وهو اتجاه سعت إنجلترا لتعميقه — بل لفرضه عن طريق المثقفين الليبراليين — فى نفوس المصريين^(٢٣) .

(٢٠) أوراق محمد فردى : ص ٤٣٤ .

(٢١) د. عبد الخالق لاشين : المرجع السابق ص ٢١٧ . ،
وقال احمد شوقي سنة ١٩٢٥ مصورا ذلك :
لقد صارت لكم حكما وغنما وكان شعارها الموت الرؤما
الشوقيات — جا ص ٢٦٢ — ٢٦٦ .

(٢٢) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى
ص ١٠٦ .

(٢٣) د. جلال يحيى : الثورة والتنظيم السياسى ص ١٧٣ .

وعلى الرغم من أن ذلك الاتجاه قد أسهم في نخوض نسبي للتيار العلماني بين مجموعة من المثقفين ، وكذلك انحسار المد الديني الاسلامي لغياب الأيديولوجية الاسلامية ، الا أن ذلك لايعنى ضعف التأثير الديني الاسلامي على القطاعات العريضة من المصريين ، وحتى على أغلب المثقفين الليبراليين * وبرغم ضعف — أو اضعاف — الممثلين القدامى للأيديولوجية الاسلامية، وكذا المؤسسات التقليدية ، الا أنهم — أى المفكرين المسلمين التقليديين — لم يتعثروا في اقناع الجماهير بأيديولوجية اسلامية جديدة والحصول على تأييد واسع منها بعد سنوات قليلة من ثورة سنة ١٩١٩ (٢٤) ، برغم تمكن الليبراليين من امكانيات التأثير ووسائل الحكم ، مما يؤكد قوة ودوام وسيادة التأثير الديني الاسلامي على غالبية المصريين * ويصور الأستاذ طارق البشرى انتقال الحركة الوطنية المصرية الى الاتجاه الوطنى المحدود بقوله « كان أساسها لدى المثقفين وأصحاب الاستتارة الفكرية ، هو الرغبة في تكوين الجماعة السياسية على أساس

(٢٤) تعاطف الراى العام المصرى مع دعاة مؤتمر الخلافة بعد انقائها ، وكذلك مع الذين تولوا الرد على كتاب « الاسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرازق ، ثم قامت جماعتي « الشبان المسلمون » سنة ١٩٢٧ و « الاخوان المسلمون » سنة ١٩٢٨ ونالت الأخيرة تأييدا واسعا وسريعا .

قومى يكون أكثر الصيغ ملائمة للتطور المأمول وكان أساسها لدى أصحاب التفكير الدينى التقليدى هو تأكيد السماحة الدينية التى ينطوى عليها الاسلام أو مسيحية القبط ، ويلحظ من نواهد الفترة أن غالب المصريين قد وجد نفسه فى عبارة « الوطنية ديننا » (٢٥) .

ونخلص من هذا الى أن المجموعة التى وصلت الى مكان القيادة فى ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها قد فشلت فى احداث التحول المأمول لأن المؤسسات السياسية التى أقاموها لتدعيم النظام الديمقراطى اللبيرالى كانت تعتمد على توجيهات الدول الأوربية ، وبالتالي لم تكن مستمدة من واقع القوى الاجتماعية ولم تعبر عن رغبات الشعب الحقيقية ، كما أنهم لم يكونوا — ومن خلال هذه المؤسسات — أو فى انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية — يعبرون عن مطالب المصريين ورغباتهم * ومع أنهم قد أضعوا جهدهم فى محاولة وضع حد للسيطرة الأجنبية حتى لايفقدوا ثقة الجماهير ، الا أنهم لم يعنوا أنفسهم فى العمل على وضع برنامج تثقيفى تدرك الجماهير من خلاله مزايا النظام النيابى الدستورى ، ويمكن لهم من المشاركة فى هذا النظام ،

(٢٥) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ١٤٣ .

— ٥٢ —

ومن هنا — وكما يرى الأستاذ مجيد خدوري — مان « القيادة والولاء الحزبيين اعتبدا على الارتباط الشخصي والعائلي أكثر مما اعتمدا على التأييد العام » * وأصبحت الأحزاب تمثل حفنة من الشخصيات تتعلق بزعيم سياسي دون أن تبذل أى جهد للاتصال بال جماهير » (٢٦) *

(٢٦) مجيد خدوري : الاتجاهات السياسية في العالم العربي
ص ٤٧ ، ٤٩ ، ١٠٦١

دور الأقباط في ثورة سنة ١٩١٩ ، حجمه وطبيعته

لم تشهد مصر طوال تاريخها وحتى وقوعها تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ أى صورة من صور العداء الدينى بين المسلمين والأقباط ^(١) ، فلم تكن — وحسب ما ذكره « ليدر » فى كتابه (الأبناء المحدثون للفراعنة) — « مناصب الحكومة المصرية — وحتى المناصب الكبيرة فيها — موصدة الأبواب فى وجه القبط ، وأن التاريخ الإسلامى يحمل أمثلة تظهر يجلاء أن الدين لم يكن على الإطلاق عائقا يمنع توظيف الأشخاص الأكثر كفاية فى أعمال الإدارة بغض النظر عن المسئولية فى الدولة ، باستثناء الجيش والولاية » ^(٢) .

لكن الاستعمار الأوروبى بوجه عام أسهم فى خلق هذه المشكلة فى العالم العربى حتى قبل وقوع بلدانه تحت الاحتلال حيث جعل من الأقليات — والمسيحية منها بالذات — وسيطا لنبث الأفكار والمفاهيم الغربية ^(٣) ، فضلا عن أنه قد استعان بهذه الأقليات فى إدارة مصالحه الاقتصادية التى أخذت تنمو باضطراب إبان القرن التاسع عشر . وإذا كان ذلك — وكما يتصور

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص. ١١٠ .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص. ١١٠ .

(٣) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص. ١٠٨ .

البعض — قد أسهم في التماسك الاجتماعي لهذه الأقليات^(٤) ، وعلى أساس الدين ، الا أنه أسهم في الوقت نفسه في إثارة المشاعر الدينية حولها لا لأنها تخالف مجموع المسلمين في الدين ، ولكن لأنها تستمد قوتها وكيانها من قوى مسيحية لها رصيد تاريخي مثير مع العالم الاسلامي مما خلق حولها احساس بعدم الولاء والانتماء للمجتمع الذي تعيش فيه ، وهو أمر يفسر من خلال حيادها بشكل عام تجاه الصراعات السياسية ضد الحكم الغربي^(٥) ، وعد اشتراكها في الغالب في حركة مقاومة الاستعمار في العالم العربي في التاريخ الحديث .

وكما فعل الانجليز في الهند باتخاذ سياسة التفرقة بين المسلمين والهندوس — سياسة فرق تسد — سلكوا هذه السياسة

-
- (٤) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص ١٠٨ . ،
صباحي وحيدة : في أصول المسألة المصرية ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
(٥) د. سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات ص ١٠٩ . ،
وكان لهم دور في مساندة الحملة الفرنسية حيث أسس المعلم يعقوب جيشا قبطيا لهذا الغرض . أنظر : جمال بدوي : الفتننة الطائفية في مصر ص ٥٠ ، د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ٢ ص ٩٤٠ .

في مصر^(٦) ، وادعت انجلترا بعد ذلك أنها مابقيت في مصر الا
لحماية الأقلية المسيحية^(٧) .

وكانت سلطات الاحتلال وراء أول فتنة طائفية حدثت في
مصر بسبب اغتيال بطرس غالى رئيس النظار القبطى في
١٩ فبراير سنة ١٩١٠ ، حيث كانت وراء اختيار بطرس غالى
لهذا المنصب برصيده المعادى للحركة الوطنية المتعاون مع
الاحتلال ، فهو الذى وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ، وكان
رئيس محكمة دنشواى التى حكمت باعدام الفلاحين المصريين ،
وهو الذى أعاد العمل بقانون المطبوعات لتفويض الصحف
الوطنية في مارس سنة ١٩٠٩ ، وهو الذى أصدر قانون النفى
الادارى الذى منحه حق نفى الأشخاص الخطرين على الأمن ،
فحاكم أول من حاكم الشيخ عبد العزيز جاويش ، وأغلق أول
ماأغلق جريدة الحزب الوطنى « اللواء » ، كما حاول مد امتياز

(٦) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ١١٣ . . وفسر
الانجليز الاتجاه الاسلامى فى الحركة الوطنية بأنه يعنى اخضاع
الأقليات المسيحية لحكم اسلامى يضطهدهم . د . جلال يحيى :
المدخل الى تاريخ العالم العربى الحديث ص ٤٠٤ . . محمد شفيق
غزبال : تاريخ المفاوضات البريطانية ج١ القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٢٧
(٧) أحمد سويلم العمرى : أصول النظم السياسية ص ١٠٥ ،
جمال بدوى : المرجع السابق ص ٥٠ ، ٥١ .

قناة السويس (٨) • وفي الجهة الأخرى وقف الاحتلال وراء بعض الصحف القبطية الموالية له ليدفعها على كتابة المقالات المثيرة لمشاعر جمهور المسلمين حيث كثرت المقالات المطالبة بالمساواة بين المسلمين والأقباط في الوظائف الإدارية ، وتصور الأقباط بأنهم مظلومون في الحقوق العامة ، وطرح فكرة تشكيل وفد قبطي لعرض مطالب الأقباط في إنجلترا (٩) •

وحينما يقوم أحد الأقباط وهو واصف عضو الحزب الوطنى باستنكار هذه الأمور ، تهاجمه جريدة « الوطن » الموالية للاحتلال وتوجه إليه تهمة الخيانة وأنه يجب أن ينال حكم « يهوذا الاسخريوطى » (١٠) •

(٨) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ص ٥١ . وقد أيدت صحف الأقباط اتجاه بطرس غالى والاحتلال وبخاصة في حادث دنشواى أنظر جريدة مصر ١٩٠٦/٦/٢٩ ، كما عارض الأقباط الدعوة للدستور متفقين في ذلك مع كرومر وسياسة الاحتلال . انظر : مصطفى النحاس : المرجع السابق ص ١٠١ ، ١٠٢ . وقد أيدت صحف الأقباط صدور قانون المطبوعات حينما علمت أنه ضد الصحف الإسلامية ، للشعب : ١٩١٢/٥/٨

(٩) الوطن : ١٩٠٨/٥/١٨ مقال لجندى ابراهيم بعنوان « الأقباط والوظائف الادارية » ، الوطن في ١٩٠٨/٦/٤ حيث يطالب أخنوخ فانوس عند انشاء جمعية « مجتمع الاصلاح القبطى » كل من الخديو والحكومة والمندوب السامى البريطانى بالتدخل لمساواة المسلمين والأقباط .

(١٠) الوطن : ١٩٠٨/٥/١٥ . ، الشعب : ١٩١٢/٥/٨

وظل الاحتلال ينفخ في هذا البوق — رغم الالتزام والحذر من جانب الحزب الوطنى خشية الوقوع في فخ الفتنة — ودفعت صحف الأقباط للهجوم على العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامى^(١١) ، حتى اضطر الشيخ عبد العزيز جاويش بأن يكتب — مدافعا — مقال « الاسلام غريب في بلاده » وهو مقال يخلو من الهجوم على العقيدة المسيحية لكنه يذكر المسيحيين بفضل سماحة الاسلام عليهم^(١٢) ، وانتهزوها فرصة للاساءة الى الحركة الوطنية أمام الرأى العام الأوربى فسهلوا مهمة سفر « قرياقص ميخائيل » كممثل للصحافة القبطية الى لندن لينشر في صحفها مقالات عن الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وساعدوا على سرعة اجتماع المؤتمر القبطى ، وكذلك المؤتمر الاسلامى الذى عقد للرد على مؤتمر الأقباط ، كما ساعدوا أحد الأقباط المعاصرين على نشر كتاب له دافع فيه عن الاحتلال وهاجم الحركة الوطنية^(١٣) .

(١١) مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ص ٩٩ .

(12) Marlawe. John : Anglo Egyptian Relation 1800 - 1953 London, 1954, p. 201.

(١٣) د. زكريا سليمان : الحزب الوطنى ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .
وعن دور المخابرات البريطانية في بث الفرقة الطائفية ودفعت

وجاءت الحرب العالمية الأولى — وماتبعها من تطورات
وتغييرات هامة في مصر — لتبتعد المصريين عن حافة الفتنة ذلك
لأن سلطات الاحتلال قد شغلتها قضايا الحرب من جهة ،
وأن الأقباط والمسلمين قد تعرضوا معا للعسف والجزور
والاستغلال من جانب هذه السلطات طوال فترة الحرب من جهة
أخرى . وقد أسهمت هذه العوامل الى جانب انحسار أيديولوجية
الجامعة الاسلامية وغياب دعائها من زعماء الحزب الوطني ،
وظهور المعتدلين من المثقفين الليبراليين من دعاة القومية على
سطح العمل السياسي ، كل هذا أسهم في اسهام الأقباط في ثورة
سنة ١٩١٩ .

على أن اشتراك الأقباط في هذه الثورة كان محدودا وفي
اطار أضيق مما اشتهر عنه ، لكن حرص القيادة الوفدية على
ابرازه كان لمحاولة ايجاد أنصار للحركة الوطنية في أمريكا
وأوربا وحتى في انجلترا نفسها^(١٤) ، كما أن ذلك قد انتهى مع
رغبة الأقباط الرامية الى اظهار دورهم في محاولة تحديد الاطار

صحف الأقباط لمهاجمة الحركة الوطنية . أنظر : مصطفى النحاس
جبر : سياسة الاحتلال ص ١٠٠ ، ١٠١ . وأنظر أيضا جريدة
الوطن : في ١٥/٥/١٩٠٨ على سبيل المثال مثال لفريد كامل بعنوان
الانسانية تتعذب . ومقالات جريدة مصر في ٢٢ ، ٢٣/٦/١٩٠٨
(١٤) د. محمد أنيس : دراسات في وثائق ثورة سنة ١٩١٩
ص ٦٣ .

القومى وفى حركة الكفاح فى مصر ، وبحكم سيطرة كليهما — قيادة الوفد والأقباط — على صحف هذه الفترة ، فقد أسهم ذلك فى التضخيم من هذا الدور •

فقد ظلت جريدة « الوطن » القبطية تعتبر يوم اعلان الحماية البريطانية على مصر « يوم عيد »^(١٥) • كما أن الأقباط حينما سعوا لاشراك بعضهم فى الوفد — بعد تشكيله الأول الذى خلا منهم — سألوا سعد باشا — على لسان جورج خياط — عن مصيرهم بعد انضمام ممثليهم الى الوفد ، فطمأنهم مسعد بأن « لكم ما لنا وعاكم ما علينا من الواجبات »^(١٦) ، وأراد سعد زغلول بذلك أن يسقط الزعم الانجليزى عن تعصب الحركة المصرية ، فضلا عن أن هذا الاتجاه يعد سمة أساسية فى فكر سعد حيث كان من المثقفين الليبراليين^(١٧) •

(١٥) د. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر ص ٣١٢ • ، وذكرت جريدة مصر من قبل أن حياة الأقباط كانت عرضة للابادة لو أبطأ الاحتلال عن دخول مصر أسبوع واحد مصر : ١٩٠٨/٦/٢٩ • وقد طالبت هذه الصحيفة بضم مصر للمستعمرات الانجليزية ، الشعب : ١٩١٢/٥/٨ •

(١٦) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ١٤٨ • ، د. سميرة بحر : الأقباط ص ٨٥ •

(١٧) طارق البشرى : المرجع السابق ص ١٤٨ • وكان اشتراكهم فى نظر المسلمين نوعا من تأكيد السماحة الدينية فى الاسلام •

وعلى الرغم من ذلك هاجمت صحيفة « الوطن » القبطية الأقباط الذين شاركوا في الوفد ، وهاجمت مثلثتها جريدة « مصر » القبطية التي أيدت هذا الاتجاه ، وقالت أن « المنقبادى » صاحب جريدة « مصر » برر اتجاهه للوفد بأنه « لولا هذه الخطة التي انتهجها ، خطة المجاملة أو ان شئت المراوغة والمبدأ الذي اتبعه وهو مبدأ التظاهر بالغيرة والممالأة لزعماء هذه الحركة « الوفد » لأصاب الأقباط من جراء ذلك أعظم الأخطار وأكبر الأضرار » (١٨)

وقبيل قيام الثورة نشرت جريدة « مصر » ما أسمته بشروط للوحدة الوطنية كانت في مجموعها لاترضى جموع المسلمين (١٩) ، ورد عليها « عبد الحميد حمدى » صاحب مجلة

(١٨) طارق البشرى : المرجع السابق ص ٦٠ ١ .

(١٩) الوطن : في ١٩١٩/٣/٧ مثال بعنوان « الجامعة الوطنية المنشودة بلا قيد ولا شرط » . وأهم الشروط التي أوردتها المقال عن جريدة « مصر » هي : (١) محو كلمة مصرى وتبطل في كل شيء (٢) لا يخصص معهد علمى بعينه لعنصر دون آخر فيفتح الأزهر أبوابه للأقباط وكذا مدارس الأوقاف (٣) ضم الجمعيات الخيرية (٤) الا يكون هناك نادى خاص بعنصر دون اخر (٥) المساواة المطلقة في وظائف الحكومة (٦) عدم تعيين نواب في المجالس التشريعية باسم الأقباط (٧) جعل المدارس علمية لا دينية (٨) ضم مصالح الأوقاف الاسلامية والقبطية الى بعضها . وهذا يوضح الرغبة في التحول العلمانى .

« السفور » — وأيدته جريدة « الوطن » المتعصية والمواليية
للاحتلال — بأن ذلك ضرب من الخيال والأحلام *

ومن هنا فسر كاتب أجنبي أسباب اشتراك الأقباط في الثورة
بأنهم « أول من سيخسر اذا ما نجحت الحركة في اجلاء
الانجليز عن البلاد » ، وأن انضمام بعضهم اليها كان نوعا من
« ايثار السلامة » محافظة على مكانتهم الاجتماعية خاصة وأنهم
أكثر ثراء وتعلما بالقياس للمسلمين » (٢٠) *

ويتضح من ذلك أن اشتراكهم لم يكن مؤثرا ، ولهذا
سعى زعماء الأزهر لاقناع البطيركية القبطية وطائفة الأقباط
بالانضمام الى الحركة بطريقة فعالة (٢١) *

ومن الممكن بعد ذلك أن نحدد دور الأقباط في الثورة
من خلال اتجاهين رئيسيين : —

فالاتجاه الأول : وهم الذين اشتركوا في الثورة وينقسم الى
فريقين : —

١ — أن فئة قليلة منهم قد اشتركت في الثورة الى جانب
المسلمين دفاعا عن الوطن ، ومن خلال تأثرها بنفس العوامل التي

(٢٠) د. د. عاصم الدسوقي : ثورة سنة ١٩١٩ ص ٣٦ .
(٢١) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص ٢١٨ . برقية من
تشيتام الى كيرزون في ١٩/٣/١٩١٩ .

دفعت الجماهير للثورة ، وأنفعلت وتفاعلت مع أحداثها ، ووصفت جريدة « مصر » هذه الفئة بأن « الوطنية المصرية في لحومهم وعظامهم » (٢٢) . وقد ظهر من هذه الفئة بعض الأقباط الذين تبادلوا مع المسلمين الخطابة في دور العبادة مثل القمص مرقص سرجيوس ، الذى خطب على منبر الأزهر قائلًا : « اذا كان الانجليز يتمسكون ببقائهم في مصر بحجة حماية القبط فأقول ليمت القبط وليحى المسلمون أحرارا » وقال آخر : « اذا كان استقلال المصريين يحتاج الى مليون قبطى فلا بأس من هذه التضحية » (٢٣) .

٢ — ان فئة أخرى — أقل حماسا — قد ربطت بين اشتراكها في الثورة وبين ضرورة اختفاء الوجه الاسلامى لها وهو الوجه الذى كان يحرك غالبية المصريين كما سبق التوضيح . وقد رفضت هذه الفئة — التى كانت تمثل اتجاه أغلب الأقباط — ربط تاريخ المحبة والوئام بين المسلمين والأقباط بالشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامى بل لابد من ربطها بالشعور

(٢٢) مصر : ١٩١٩/٥/١٦ مقال بعنوان « هل القبطى مصرى » ، نفس المصدر فى ١٩١٩/٥/٢١ مقال لفرج جرجس بعنوان : « الأقباط والتاريخ » ، نفس المصدر : ١٩١٩/٤/٢٤ مقال بعنوان : « ليس للأقباط مطالب » .

(٢٣) طارق البشرى : المرجع السابق ص ١٣٦ .

الوطني ، وأن التدليل على تاريخ المحبة بينهما من خلال أحداث التاريخ الاسلامي سيجعلهم يعتبرون المسلمين « أجانب وليسوا وطنيين » وأن « حنينهم يرجع الى بلاد العرب ، وهم وكل فاتح سواء بسواء يعد القبطي خيرا ، وإذا اعتبر القبطي أسير فنح ثم طلب منه أن يختار أحد الفاتحين — أى الاسلامي أم الانجليزى — فلا ندرى على أى منهما يقع اختياره » (٢٤) .

وعبرت هذه الفئة — وهى فى هذا تعبر عن غالبية الأقباط — عن فرحتها بغلبة الجامعة المصرية على الجامعة الاسلامية (٢٥) .
وحيثما أرادت أن تؤكد وطنيتها وشوقها للاستقلال قالت :
« أنه شوق شيخ هرم عاد اليه ميراث أبيه وكان قد حرم منه وهو بعد فى المهدي صبيا » (٢٦) ، وأنهم — أى القبط — أحق من سواهم — أى المسلمين — باستقلال مصر لأنها وطنهم ووطن أجدادهم من ستة آلاف سنة . القبط الذين تحت اسم مصر أسمهم » (٢٧) .

(٢٤) مصر : ١٩١٩/٤/٢٤ مقال لمرقص فهمى بعنوان :
« لا تظلموا أنفسكم » .

(٢٥) رمزي ميخائيل جيد : الوحدة الوطنية فى ثورة سنة ١٩١٩ ص ٥٠ .

(٢٦) الوطن : ١٩١٩/١٠/٧ .

(٢٧) الوطن : ١٩١٩/١٢/٢٧ .

أما الاتجاه الثانى : فتمثله فئة أيدت الاحتلال البريطانى وساعدته فى محاولة تقويض الثورة ومحاصرتها ، وهو اتجاه المتقى مع اتجاه قادة الوفد المنفيين الذين حرصوا على تأكيد الوحدة بين المسلمين والأقباط ومقاومة كل مايشاع عن حدوث خلاف بينهما سعيا للحصول على تأييد الرأى العام الأوروبى^(٢٨)، فبدت هذه الفئة وكأنها تؤيد حركة الوفد التى تضم زعماء الثورة •

وقد عبرت صحف الأقباط: « الوطن » ، « مصر » عن هذه الفئة ، وشاركتها « المقطم » وهى لمسيحيين شوام • فلم تهتم « الوطن » بأخبار الثورة ، ونشرت فى صفحتها الثانية — الأقل أهمية — ، وبعنوان صغير لاينتاسب مع الحدث ، نبأ نفى سعد باشا وزملائه ، ثم علقت على مظاهرات الطلبة بقولها : « يجعل بنا فى هذه الفرصة أن نسوق النصيحة الى الشباب بأن يجعل كل مقاصده بريئة من الشعب وأنه يقصد الى العمل بالطرق المشروعة ، ولائظن أن الشعب مشروع ولا هو أمر منتج أية نتيجة ترجوها البلاد • ان مصر اشتهرت بين البلاد بالهدوء

(٢٨) د. محمد أنيس : دراسات فى ثورة سنة ١٩١٩ ص ٦١ ، وقد قام عبد الرحمة نفهمى بهذا الدور فى مصر حيث أوعز باختيار قبطى وكيلًا للجنة الوفد المركزية ورئيسًا لها بالنيابة ردًا على تعيين الاحتلال لرئيس وزراء قبطى هو يوسف وهبه فى ٢١/١١/١٩١٩ •
فتحى رضوان : مشهورون منسيون ص ٦٨ ، ٦٩

والسكينة ، فليكن شعارها الان وفي المستقبل كما كان شعارها في الماضي والله يتولى نصره الضعفاء» (٢٩) . وناشدت جريدتا «المقطم» و «الوطن» المتظاهرين من الطلاب بالتفرغ للدراسة والامتناع عن الاضراب ، ووصف الجماهير الشائرة بالغوغاء (٣٠) ، ونشرت «الوطن» في نفس اليوم البلاغ الرسمي البريطاني بوقف الاضراب (٣١) . كما نشرت في اليوم التالي ١٣/٣/١٩١٩ «تبرؤ الطلبة من أحداث المظاهرات بعد اعتداء الناس على مركبات الترام واثلاف المحلات التجارية ، وواصلت المناسدة بالهدوء والسكينة (٣٢) .

ونشرت «المقطم» في ١٣/٣/١٩١٩ بيان ادعت أنه من الطلبة وأنهم يناشدون الناس الهدوء ، ووصفت المتظاهرين بالرعاع (٣٣) . كما نشرت في اليوم التالي في قائمة أخبارها

(٢٩) الوطن : ١٠/٣/١٩١٩ .

(٣٠) د. خليل اصابات وآخرون : حرية الصحافة ص ٣٢٢ ، الوطن : ١١/٣/١٩١٩ ، مقال بعنوان : «ليقلع الشباب عن هذا الاعتصاب» .

(٣١) الوطن : ١١/٣/١٩١٩ .

(٣٢) الوطن : ١٢/٣/١٩١٩ مقال بعنوان : «ن داخل الغوغاء في المظاهرات الأخيرة وتبرؤ الطلبة من عواقبها الخطيرة» . ، المتطم : ١٢/٣/١٩١٩ . «المظاهرات في العاصمة» .

(٣٣) المقطم : ١٣/٣/١٩١٩ .

تحذير من القائد العام للقوات الانجليزية في القطر المصرى
للمصريين بعدم الائتلاف العام وتحذير آخر باجتناح الحركات
السياسية ، كما نشرت شكر لليوليس على قيامه بدور مواجهة
المظاهرات^(٣٤) . ونشرت الوطن في ١٥/٣/١٩١٩ تحذير القائد
العام الانجليزى بأن من لم يلتزم الهدوء سيطلق عليه
الرصاص^(٣٥) . وفى ٢٢/٣/١٩١٩ أرسل تشيتام الى كيزون
رسالة ذكر فيها أن « ابراهيم حليم باشا » مدير البحيرة قد
ضربه الثوار ضربا مبرحا وأصيب بجروح بالغة أثناء محاولته
تفريق الثائرين فى دمنهور ، وأنه — أى تشيتام — قد سر
لأن حليم باشا فى طريقه للشفاء^(٣٦) .

وطالبت « الوطن » بعدم طبع المنشورات السرية بحجة
أن الجماهير — الغوغاء — لا يعرفون القراءة والكتابة^(٣٧) .

ورحبت نفس الجريدة بوصول الجنرال اللنبى وطالبت
الجماهير بالتعاون معه على الأمن والنظام^(٣٨) ، ونشرت خطة

(٣٤) المقطم : ١٤/٣/١٩١٩ .

(٣٥) الوطن : ١٥/٣/١٩١٩ « منشور السلطة العسكرية »

(٣٦) ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ : ص ٢١٤ .

(٣٧) الوطن : ١٩/٣/١٩١٩ .

(٣٨) الوطن : ٢٦/٣/١٩١٩ .

اللبنى فى الاصلاح ، وطالبت بالاذعان لما يريد « لأن فيه خير مصر » (٣٩) .

وعددت الجريدتان « مصر » ، « الوطن » الخسائر التى حدثت فى الثورة وأنها تسىء الى اقتصاد البلاد وغير ذلك فى محاولة لاحباط عزم الجماهير عن مواصلة الثورة ، وناشدت بالهدوء والسكينة (٤٠) .

وبعد الافراج عن أعضاء الوفد المعتقلين فى مالطة والسماح لهم بالسفر نشرت جريدة « مصر » النبأ وطالبت المصريين بالهدوء وأن يتركوا للوفد مهمة قضية البلاد (٤١) ، وخطبت اللبى بقولها « الى عدالة الجنرال اللبى » ، وطالبت به بأن يسعى لى حكومته لتسهيل مهمة الوفد واعتباره ممثلاً لمصر (٤٢) .

(٣٩) الوطن : ١٩١٩/٣/٢٧ . ونشرت العديد من البيانات العسكرية .

(٤٠) الوطن : ١٩١٩/٣/٢٧ مقال بعنوان : « ما أصابنا من النكبات » بسبب تلك الحركات . ، مصر : ١٩١٩/٤/١ تحت عنوان (الحالة العمومية فى القطر المصرى) . ، مصر : ١٩١٩/٤/٩ مقال بعنوان « مصر تصافح مصر » وآخر بعنوان : « تطور المصريين » .

(٤١) مصر : ١٩١٩/٤/١١ .

(٤٢) مصر : ١٩١٩/٤/١٧ ونشرت قصيدة وصفت فيها المتظاهرين بالمجرمين جاء فيها .

لاتأخذوا الشعب البرىء بذنب من سلكوا سبيل الفى والاجرام

وتحت عنوان « ماذا تقول الصحف الانجليزية عنا الان » نشرت جريدة « مصر » مقالا طويلا أوضحت فيه وجوب لفت نظر الجمهور لأحواله الاقتصادية اذا أراد لبلاده التقدم ، وطلبت الارتباط بانجلترا لأن « التقدم في النواحي الزراعية كان نتيجة لسياستها » ، وذكرت أن وكيل احدى الشركات الانجليزية حضر الى مصر ومعه نصف مليون جنيه ولم يجد فرصة مناسبة لتجارة ، وأن المصريين لاينبغي أن يقتلوا « الأوزة » — أى انجلترا — التي تنفقس لهم بيضا من ذهب^(٤٣) .



وبقى أن نشير الى دور المرأة في الثورة باعتباره أحد الركائز التي يرتكز عليها الذين يحاولون صبغ الثورة بالصبغة العلمانية . فقد كان اشتراك المرأة في الثورة قاصرا على المدن الكبرى فقط ، كما أن أغلب المشتركات كن من الأسر « الراقية » التي « علمت بناتها تعليما مصطبعا بالصبغة الغربية » ، في حين كان « المعارضون للفكرة يمثلون الأغلبية الساحقة من الشعب » ، أى أن اللاتي اشتركن في المظاهرات لايمثلن المرأة المصرية بشكل

عام^(٤٤) . كما أن أغلبية من اشتركوا في المظاهرات قد حافظوا على التقاليد فحافظوا على وقارهن وصمتهن^(٤٥) ، كما خرجن في المظاهرات وهن مازلن تحت الحجاب^(٤٦) .

(٤٤) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ص ١٣٣ ، ١٣٤ . د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسي ص ١١٢ . ، وقد أيدت الصحف القبطية دور المرأة باعتبار أنه يتنافى والتقاليد الإسلامية في حين دعت المتظاهرين للهدوء والسكينة كما سبق التوضيح ، كما يراعى أن الإلزام طرحن الحجاب في المظاهرات كان بينهن نساء من الأقباط اللاتي لا يلتزم بالحجاب .

(٤٥) د. جلال يحيى : الثورة والتنظيم السياسي ص ١٨٣ .

(٤٦) محمد كامل سليم : ثورة سنة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها ص ١٠٨ .

المراجع

مراجع عربية

أبو الاعلى المودودى

حقوق أهل الذمة فى الدولة الاسلامية دار الفكر —

بيروت • ب • ت

د • أحمد سويلم العمرى

أصول النظم السياسية المقارنة — الهيئة العامة

للكتاب — القاهرة سنة ١٩٧٦ •

أحمد شفيق

مذكراتى فى نصف قرن — ج ٢ — ط ١ — مطبعة

مصر سنة ١٩٣٦ •

أحمد شوقى

الشوقيات — أربع أجزاء — دار الكتاب

العربى — ب • ت

د • أحمد عبد الرحيم مصطفى

تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة —

دار المعارف — القاهرة ١٩٦٧ •

أمين عز الدين

تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ / ١٩٢٩ —

القاهرة سنة ١٩٦٩ •

توماس • د • أرنولد

الدعوة الى الاسلام ، ت : د • حسن ابراهيم
حسن ، و • عبد المجيد عابدين — ط ٣ — مكتبة
النهضة المصرية سنة ١٩٧٠ •

د • جلال يحيى

الثورة والتنظيم السياسى — دار المعارف —
القاهرة سنة ١٩٦٦ •

د • جلال يحيى

المدخل الى تاريخ العالم العربى الحديث — دار
المعارف — القاهرة سنة ١٩٦٩ •

جمال بدوى

الفتنة الطائفية فى مصر ، جذورها وأسبابها —
القاهرة سنة ١٩٧٧ •

د • خليل صابات وآخرون

حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ / ١٩٢٤م — مكتبة
الوعى العربى سنة ١٩٧٢ •

رمزى ميخائيل جيد

الوحدة الوطنية فى ثورة سنة ١٩١٩ — الهيئة
العامة للكتاب — القاهرة سنة ١٩٨٠ •

د • زكريا سليمان بيومي

الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية في الحياة
السياسية المصرية ١٩٢٨ — ١٩٤٨ — مكتبة
وهبه — القاهرة سنة ١٩٧٩ •

د • زكريا سليمان بيومي

مصر الحديثة بين الانتماء العقائدي والقومي —
مكتبة وهبه — القاهرة سنة ١٩٨٣ •

د • سميرة بحر

الأقليات في الحياة السياسية المصرية — الانجلو
المصرية سنة ١٩٧٩ •

د • سميرة بحر

المدخل لدراسة الأقليات — الأنجلو المصرية —
القاهرة سنة ١٩٨٣ •

د • سميرة بحر

في أصول المسألة المصرية — الأنجلو المصرية —
القاهرة سنة ١٩٥٠ •

طارق البشرى

المسلمون والأقليات في اطار الجماعة الوطنية —
هيئة الكتاب — سنة ١٩٨٠ •

د • عاصم الدسوقي

ثورة سنة ١٩١٩ في الأقاليم — دار الكتاب
الجامعي — القاهرة سنة ١٩٨١ •

د • عبد الخالق لاشين

سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ١٩١٤ —
١٩٢٧ — دار العودة — بيروت — سنة ١٩٧٥ •

عبد الرحمن الرافعي

ثورة سنة ١٩١٩ — جزآن — ط٢ — النهضة
المصرية — القاهرة سنة ١٩٥٥ •

د • عبد الرشيد عبد العزيز سالم

حياة وسيرة على الغاياتي — مكتبة الفلاح —
الكويت — سنة ١٩٨١ •

د • عبد العزيز الشناوى

أوروبا في مطلع العصور الحديثة — ج١ — ط٣
الأنجلو المصرية — القاهرة سنة ١٩٧٧ •

د • عبد العزيز الشناوى

الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها —
جزآن — الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠ •

عبد العزيز فهمي

هذه حياتي — دار الهلال — سنة ١٩٦٣ •

عبد العظيم رمضان

الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ — ١٩٣٦ — دار
الكاتب العربي — القاهرة — ب. ت

د. علي الدين هلال

التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث
١٨٨٢ — ١٩٢٢ — القاهرة سنة ١٩٧٥ *

فتحي رضوان

مشهورون منسيون — القاهرة سنة ١٩٧٠ *

كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الاسلامية — ت: نبيه فارس ،
مدير البعلبكي — ط ٨ — دار العلم للملايين
سنة ١٩٧٩ *

لطيفة محمد سالم

مصر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨
رسالة ماجستير غير منشورة — جامعة القاهرة ،
سنة ١٩٧٠ *

مجيد خدوري

الاتجاهات السياسية في العالم العربي — المتحدة
للنشر — لبنان سنة ١٩٧٩ *

مجيد خدورى

عرب معاصرون — المتحدة للنشر — لبنان —
• سنة ١٩٧٣

محمد أسد

منهاج الحكم فى الإسلام ، ت : منصور محمد
ماضى — دار العلم للملايين — لبنان — ط ٤
• سنة ١٩٧٥

د • محمد أنيس

دراسات فى وثائق ثورة سنة ١٩١٩ — ج ١ —
• الأنجلو المصرية — القاهرة سنة ١٩٦٥

د • محمد حسين هيكل

مذكرات فى السياسة المصرية — جزءان — النهضة
المصرية — القاهرة سنة ١٩٥١ •

محمد شفيق غربال

تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية — ج ١ —
• القاهرة سنة ١٩٥٢ •

محمد صابر عرب

الحركة الوطنية — فى مصر ١٩٠٨ — ١٩١٤ —
رسالة ماجستير غير منشورة — كلية اللغة العربية —
الأزهر سنة ١٩٧٩

محمد صبيح

كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر
والعشرين — ط٢ — القاهرة سنة ١٩٦٦ •

محمد فريد

أوراق محمد فريد — المجلد الأول — مذكراتي
بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩ — هيئة الكتاب —
القاهرة سنة ١٩٧٨ •

محمد كامل سليم

ثورة سنة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها — أخبار
اليوم سنة ١٩٧٥ •

د • محمد محمد حسين

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر — جزءان —
دار النهضة العربية — بيروت — ط٣ — سنة
١٩٧٢ •

د • مصطفى كمال وصفى

مصنفة النظم الانشائية — مكتبة وهبة —
القاهرة سنة ١٩٧٧ •

مصطفى النحاس جبر يوسف

مقاومة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ —
١٩١٤ — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة سنة
١٩٧٥ •

— ٧٧ —

د • مكى شببكة

بريطانيا وثورة سنة ١٩١٩ المصرية — القاهرة
سنة ١٩٧٦ •

د • نازك سابا يارد

الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة
الحديثة — مؤسسة نوفل — لبنان سنة ١٩٧٩ •

ويفل (المارشال)

النبى فى مصر — ت : على ابراهيم الأنطس —
ومصطفى كامل فودة •

مكتبة مدبولى — ب • ت

• ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ — الأهرام — سنة ١٩٦٩

— ٧٨ —

٢ - مراجع أجنبية :

1. Cromer, The Earl of : Modern Egypt, Third Edd. London, 1911.
2. J.C. HurewitZ : The minorities in the political Process inSovial Forcies in the Middle East, Greenwood press, Publishers N.Y. 1968.
3. Marlowe, John : Anglo Egyptian Relation (1800 - 1953) London, 1954.
4. Marshall, J.E. : The Egyptian Enigma (1890 - 1928), London 1928.
5. Tignor, R.L : Modernization and British colonial Rule in Egypte 1882 - 1914 princeton newjersey princeton university press, 1966.

وثائق أجنبية منشورة :

— F.O. 407/181, No. 327. From Curzon to Allenby May 1919.

— F.O. 407/184, No. 144. From Allenby to Curzon, 4 April 1910

— F.O. 407/185, From Allenby to Curzon 20 Nov. 1919.

— ٧٩ —

الدوريات

١٩١٢	الشعب
١٩١٩ ، ١٩٠٨	الوطن
١٩١٩ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٦	مصر
١٩٧٢	الأهرام
١٩١٩	النظام
١٩١٩	المقطم

— ٨٠ —

كتب للمؤلف

- الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ — ١٩٤٨ • مكتبة وهبه — القاهرة سنة ١٩٧٩ •
- الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ — ١٩٥٣ القاهرة سنة ١٩٨١ •
- مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى — مكتبة وهبة — القاهرة سنة ١٩٨٣ •
- التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين — دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٨٣ •

مطبعة الجبلاوى
٢٠٤ شارع التمتع البواقيّة

رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٢٨ / ١٩٨٣

